

جالب النور بوذا



أعدَّ المادَّة الرَّاهِبُ بيكو بودي

ترجمة خلود بركات

تحرير الدكتور وحيد كَبَّابَه

2022 الطبعة الأولى

هذا الكتاب ليس للبيع

جالب النور

المصدر باللغة الإنجليزية:

"A collection compiled from the Pali Canon"

الترجمة الإنجليزية (من لغة بالي) لحضرة الراهب بيكو بودي The Venerable Bhikkhu Bodhi

إعداد وترجمة خلود بركات

تحرير الدكتور وحيد كبابه

تصميم الغلاف Kinsh Technologies

المُحتويات

6	ميلاد بُودا
10	السَّعي نحو الاستِنارة
16	إدراك المَعارف الحَقِيقِيَّةِ الثَّلَاثِ
26	المَدِينَةُ القَدِيمَةُ
30	المُقْتَطَفُ الأوَّلُ مِنَ المَهافَاغا Mahāvagga
32	عِنْد شَجَرَةِ بَنِيانٍ
35	تَقْدِيمُ التَّعالِيمِ
44	الخطابُ الأوَّلُ
49	المُقْتَطَفُ الثَّانِي مِنَ المَهافَاغا
51	مِن كِتابِ "كَلِماتِ بُودا" "In the Buddha's Words"
53	دُخُولُ ياسا فِي الرّهْبَةِ
58	قِصَّةُ الأَشْخاصِ الأربَعَةِ مِنَ غَيْرِ الرُّهبانِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا عُهُودَ المَلْجَأِ
60	مَعَ كائِناتِ المارا
62	الدُّخُولُ فِي المَسارِ واتِّخَاذُ عُهُودِ الرّهْبَةِ
63	المُواجَهَةُ الثَّانِيَّةُ مَعَ المارا
64	قِصَّةُ المَجْموعَةِ الرُّائِعَةِ
66	المُعْجِزاتِ فِي أوروْفِيا
77	لِقَاءُ المَلِكِ سِنِيا بِمِيسارا
83	دخول شاربيوترا وموغلانا في المَسارِ

مُقَدِّمَةُ الْمُتَرْجِمَةِ

تأتي ترجمة هذا الكتاب كجزء من سلسلة ترجمات لتقديم الدارما البوذية باللغة العربية، بشكلٍ دقيق ومن مصادرٍ موثوقة. وقد حرصت، سواءً في المقدمة أم خلال ترجمة هذا الكتاب، على استشارة معلمين في مجال الفلسفة البوذية. وذلك للمزيد من تحري الدقة والموضوعية.

وهو كتاب يسرد جزءاً من قصة المعلم المستنير بؤذا، كما وردت في السوترات. وهي النصوص التي قالها بؤذا، والتي تضم ما جرى معه من أحداث، ولقاءات مع المعلمين الكثر الذين التقى بهم وتعلموا على أيديهم، في سعيه للإجابة عن الأسئلة التي دفعته عندما كان أميراً شاباً لأن يترك قصر أبيه.

والكتاب يزخر بالكثير من العبر والدروس، ويضم برمزية عالية. فالسوترات تمثل الطريقة أو المرحلة الأولى من مراحل تقديم التعاليم، إذ يكون التركيز على الأخلاق والانضباط والتأمل والحقائق النبيلة الأربع. ويُطلق على هذه المرحلة (الهينايانا)، ويلتزم أتباع تقليد النيرافادا بهذه الطريقة.

أما المراحل التي تلي مرحلة الهينايانا فيطلق عليها مسار الماهيانا، الذي تليه التعاليم المتقدمة في طبيعة الذهن، أو الفاجرايانا (التانترا). وقد جاءت هذه التعاليم في ثلاث مراحل، بحسب مستوى وعي تلاميذ بؤذا: فمنهم من كان في مرحلة مبتدئة، وذهنه لا يزال مشوشاً غير صافٍ، ومنهم من كان استعداده أكبر لتلقي التعاليم المتقدمة والمعقدة. فقد خاطب بؤذا تلاميذه كلاً بحسب اجتهاده وما يمتلك من ملكات واستعداد، بخلاف ما عليه الحال في عصرنا. فقليل هم المعلمون الذين يستطيعون تقديم التوجيه على هذا المستوى العالي من إدراك الاختلاف في درجات الناس، ومدى استعدادهم لتلقي التعاليم والتدريبات المختلفة.

وقد بدأ العمل على هذا الكتاب بتقديم الراهب الأمريكي بيكو بودي Bhikkhu Bodhi، الذي يتبع تقليد النيرافادا، مادةً كان أعدها حول جزءٍ من حياة بؤذا وتعاليمه. فقد قام بتجميع تلك المادة وترجمتها من لغة بالي إلى اللغة الإنجليزية، مستمداً إياها من مجموعة النصوص البالية (A collection compiled from the Pali Canon)، ومن كتابه الآخر "كلمات بؤذا" (In the Buddha's Words). وكم كان سعيداً حين علم بترجمتي هذه إلى العربية!

ولكن، لا بد من القول إنه مهما تم تحري الدقة في الترجمة، لا يمكن أن تكون كاملة. ففي الغرب اليوم تتم إعادة النظر في كل ما تُرجم في مجال الفلسفة البوذية في العقود الماضية، نظراً لارتفاع عدد

المترجمين الذين يُتقنون اللُّغات التبتية والسَّنسكريتية، وبسبب الانفتاح والتَّواصل مع المعلِّمين الكبار الذين وضحوا كثيرًا من المفاهيم. وإنني لأتمنى أن تحظى ترجمة الفلسفة البُودية إلى العربية بنفس هذا الاهتمام، وأن يزيد عدد القائمين على ذلك من ذوي الاختصاص والحرفية.

ولا يسعني أخيرًا إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للزَّاهب بيكو بُودي، وللمُحرِّر د.وحيد كَبَّابه. كما أتقدم بالشكر لمؤسسة كينتسي (Khyentse Foundation) لدعمها المُستمر لترجمة مَصادر من الفلسفة البُودية إلى العربية، متمنيَّة أن يجد القراء نفعًا وفائدة فيما قدَّمته.

خلود بركات

24 تموز 2022

ميلاد بُودا

قال الموقر أناندا * Ananda في حضور بُودا [يُشار إلى بُودا في هذا النصّ بكلمة "المُبارك"]:

سمعتُ وتعلّمتُ هذا، يا سيّدي الموقر، من المُبارك نفسه: "بحضورٍ ووضوحٍ وصفاءٍ في الدّهْن والاستيعاب، ظهر البُوديساتفا¹ في جنةِ تُوسيتا²". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ ذلك من المُبارك نفسه: "مكثَ البُوديساتفا بحضورٍ ووضوحٍ وصفاءٍ في الدّهْن والاستيعاب في جنةِ تُوسيتا". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ ذلك من المُبارك نفسه: "طوال حياته، ظلّ البُوديساتفا في جنةِ تُوسيتا". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ ذلك من المُبارك نفسه: "رحل البُوديساتفا، بحضورٍ ووضوحٍ في الدّهْن والاستيعاب، عن جنةِ تُوسيتا، ونزلَ في رجم أمّه". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ ذلك من المُبارك نفسه: "عندما رحلَ البُوديساتفا عن جنةِ تُوسيتا ونزلَ في رجم أمّه، أشرقَ على العالمِ بمن فيه من مارا، وبراهما، وزاهدين ورهبانٍ البراهمن وديفا وبشر، نورٌ عظيم يفوق العظمة الإلهية للديفا. وحتّى في تلك الفترات السّحيقة في العالم (حيثُ الفراغ، والكآبة، والظلام المطبق، حتّى إنّه لا الشّمسُ ولا القمرُ بكلّ قوتيهما، يُمكن أن يَنشرا نورهما)، أشرقَ أيضًا نورٌ عظيم يفوق العظمة

¹البُوديساتفا هو الكائن أو الشّخص الذي يُمارس تدريبات مسار الاستنارة ليصير بُودا. وغايته أن يُساعد جميع الكائنات في الوصول إلى الاستنارة. وتعني كلمة Bodhi اليقظ، و Sattva الكائن أو الشّخص.

² جنةِ تُوسيتا هي العالم الرابع من بين العوالم السّنة العليا، أو عوالم الديفا.

*أناندا هو ابن عم بُودا شكياموني وتلميذه المُحبّب إليه، الذي بقي في صحبته.

الإلهية للديفا. وبهذا النور أدركت الكائنات المولودة هناك بعضها البعض؛ لذا ظهرت هنا كائنات أخرى بالفعل. وقد اهتز هذا العالم المكوّن من عشرة آلاف ضُعبٍ، وارتجف وارتعد، وأشرق مرّة أخرى نورٌ عظيم يعوق العظمة الإلهية للديفا في العالم". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

لقد سمعتُ وتعلّمتُ ذلك من المبارك نفسه: "عندما نزل البوديساتفا في رحم أمّه، جاءت أربعة آلهة شابّة لحراسته في الجوانب الأربعة، حتّى لا يتمكّن أيُّ إنسان أو غير إنسان، أو أيّ كائن على الإطلاق، من إيذاء البوديساتفا أو أمّه". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

لقد سمعتُ وتعلّمتُ هذا من المبارك نفسه: "عندما نزل البوديساتفا في رحم أمّه، امتلأت خيرًا ونقاءً. فنبذت قتل الكائنات، وأخذ ما لم تُعطه، والإساءة في السلوك الجنسي، والمسكرات. وهي كلّها أصل الغفلة والإهمال". هذا أيضًا ما أتذكّره، من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

وسمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "تلد النساء بعد أن تحمّل جنينها تسعة أشهرٍ أو عشرةً. لكنّ الأمر لم يكن كذلك لأمّ البوديساتفا، فقد ولّدته بعد أن حمّلت به في رحمها عشرة أشهرٍ كاملةً". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

وسمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "تلد النساء جالساتٍ أو مُستلقيات. لكنّ الأمر لم يكن كذلك لأمّ البوديساتفا، فقد ولّدته وهي واقفةً". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

وسمعتُ وتعلّمتُ هذا من المبارك نفسه: "عندما خرج البوديساتفا من رحم أمّه، تلقّنه كائنات الديفا ثمّ البشر". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخصال المدهشة والرائعة للمبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "عندما خرج البُوديساتفا من رِجَم أمّه، لم يلمس الأرض. فقد استلمته كائناتُ الديفا الأربعة الشّابة، ووضعتَه أمام أمّه قائلة: "ابتهجي، أينّها الملكة، لقد وُلِد لكِ طفلٌ بقوةٍ عظيمة". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "عندما خرج البُوديساتفا من رِجَم أمّه، لم تشبهُ أخلاطُ الماء والدّم أو أيّ من الشّوائب، نقيًّا لا تشوبه شائبة. لنفترض أنّ هناك جَوْهرَةً على قِطعة فُماشٍ فاخرة، فلا الجَوْهرَةُ تُلوّث قِطعة الفُماش، ولا قِطعةُ القماش تُلوّث الجَوْهرَةَ. ولم ذلك؟ بسبب نِقاء كلّ منهما. هكذا أيضًا عندما جاء البُوديساتفا ... جاء نقيًّا لا تشوبه شائبة". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "عندما خرج البُوديساتفا من رِجَم أمّه، انصبّ ماءٌ تدفّق من السماء في نَيّارين، أحدهما بارد والآخر دافئ، ليستحمّ بهما البُوديساتفا وأمّه". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "ما إن وُلِد البُوديساتفا حتّى وقفَ بحزم على الأرض بقدميه، ثمّ مشى سبعَ خُطواتٍ إلى الأمام مُواجهًا الشّمال. وبمظلّةٍ بيضاء فوقه، تفحص جميع الاتّجاهات، ونطق بكلماتٍ قائد القُطيع: "أنا الأعلى في العالم، وأنا الأفضل في العالم، وأنا الأوّل في العالم. هذا آخرُ ميلادٍ لي، والآن لا ميلادَ آخرَ لي". هذا أيضًا ما أتذكّره من الخِصال المُدهشة والرّائعة للمُبارك.

سمعتُ وتعلّمتُ هذا من السيّد المبارك نفسه: "عندما رحلَ البُوديساتفا عن جِنةِ تُوسيتا ونزلَ في رِجَم أمّه، أشرق على العالمِ بمن فيه من مارا، وبراهما، وزاهدين ورهبانِ البراهمن وديفا وبشر، نورٌ عظيم يفوق العظمة الإلهية للديفا. وحتّى في تلك الفترات السّحيقة في العالم (حيثُ الفراغ، والكآبة، والظلام

المُطْبِق، حتَّى إنه لا الشَّمْسُ ولا القمرُ بكلِّ قوتَهما، يُمكن أن ينشرا نورَهما)، أُشرقَ أيضًا نورٌ عظيمٌ يفوق العظمةَ الإلهيةَ للديفا. وبهذا النورُ أدركتُ الكائناتُ المولودةَ هناك بعضُها البعضَ؛ لذا ظهرت هنا كائناتٌ أُخرى بالفعل. وقد اهتزَّ هذا العالمُ المُكوَّن من عشرة آلاف ضُعبف، وارتجفَ وارتعدَ، وأشرقَ مرَّةً أُخرى نورٌ عظيمٌ يفوق العظمةَ الإلهيةَ للديفا في العالم". هذا أيضًا ما أتذكَّره من الخِصالِ المُدهشةِ والرَّائعةِ للمُبارك.

ولذلك يا أناندا، تذكَّر هذا أيضًا على أنَّه من الخِصالِ المُدهشةِ والرَّائعةِ للتَّاتاغاتا أو البُوذاتِ Tathāgata: هنا يا أناندا، بالنِّسبةِ إلى التَّاتاغاتا، إنَّهم يُلاحظون مَشاعرهم وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها. والنَّصُوراتُ أيضًا تُعرَف وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها. وكذلك الأفكارُ تُعرَف وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها. تذكَّر هذا يا أناندا على أنَّه من الخِصالِ المُدهشةِ والرَّائعةِ للتَّاتاغاتا. يا سيِّدي الموقَّر، لما كانت المشاعرُ ، بالنِّسبةِ إلى السيِّد المُبارك، تُعرَف وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها، كما تُعرَف النَّصُوراتُ وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها... فإنَّ الأفكارَ أيضًا تُعرَف وهي تنشأ، وأثناءَ حضورها وأثناءَ زوالها. تذكَّر هذا يا أناندا على أنَّه من الخِصالِ المُدهشةِ والرَّائعةِ للمُبارك.

هذا ما قاله الموقَّر أناندا، وأقرَّه المُعلِّم. فرضيَّ الرُّهبانَ وشعروا بالسُّرور من كلماتِ الموقَّر أناندا.

(MN 123: *Acchariya-abbhūta Sutta*, III 118–20; 122–24)

السَّعي نحو الاستِنارة

السَّعي نحو الحالة العُليا مِنَ السَّلام المُطلق:

أَيُّها الرُّهبان، هناك نَوعان مِنَ البَحْث: البَحْث النَّبيل، والبَحْث الدَّنيء. فما هو البَحْث الدَّنيء؟ هو أن يَكُون شَخْصٌ ما عُرْضَةً للميلاد، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للميلاد أَيضًا. وأن يَكُون هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للشَّيخوخة والتَّقَدُّم في السِّنِّ، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للشَّيخوخة والتَّقَدُّم في السِّنِّ. وأن يَكُون هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للمَرَض، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للمَرَض. وأن يَكُون هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للمَوت، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للمَوت. وأن يَكُون هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للأَسى، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للأَسى. وأن يَكُون هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للفَساد، فيَبْحَثُ عَمَّا هو عُرْضَةً للفَساد.

وماذا يُمكن أن يُقال عَن كَونِكَ عُرْضَةً للميلاد والتَّقَدُّم في السِّنِّ والمَرَض والمَوت؟: الزَّوجة والأَطفال والرِّجال والنِّساء والأغنام والطُّيور، والخنازير، والفِيلة والماشية والخيل والماعِز والأفَراس، والدَّهَب والفِضة... كلُّ هذه المُقتَنيات أَيضًا هي عُرْضَةً للميلاد والتَّقَدُّم في السِّنِّ والمَرَض والمَوت والأَسى والفَساد. أمَّا المُتَشَبِّث بتلك الأشياء والمُفَتِّتِن بها، والمُنغَمِس تَمامًا فيها، ولِكونه هو أَيضًا عُرْضَةً للميلاد... ولِالأَسى والفَساد، فَإِنَّه يَسعى إلى ما هو عُرْضَةً للميلاد والأَسى والفَساد.

فما هو السَّعي النَّبيل؟ هنا شَخْصٌ هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للميلاد، قد فَهَم حُطُورَةً ما هو عُرْضَةً للميلاد، يَسعى وراء الأمان الكامل الذي يَتجاوز دائرة الولادة للخروج مِنَ دائرة القِيود، أي إلى النِّرفانا. وكونه هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للتَّقَدُّم في السِّنِّ، وقد فَهَم الخَطَر فيما هو عُرْضَةً للشَّيخوخة، فَإِنَّه يَسعى وراء الأمان الكامل مِنَ القِيود، والذي لَيس عُرْضَةً للشَّيخوخة، أي إلى النِّرفانا. وكونه عُرْضَةً للمَرَض، وقد فَهَم الخُطُورَةَ فيما هو عُرْضَةً للمَرَض، فَإِنَّه يَسعى وراء الأمان الكامل الخالي مِنَ قِيود المَرَض، أي إلى النِّرفانا. وكونه هو نَفْسُهُ عُرْضَةً للمَوت، وقد فَهَم الخَطَر فيما هو عُرْضَةً للمَوت، فَإِنَّه يَسعى وراء الأمان الكامل للخُروج مِنَ

دائرة الموت. وكونه هو نفسه عرضة للأسى، وقد فهم الخطر فيما هو عرضة للأسى، فإنه يسعى وراء الأمان الكامل الخالي من قيود الأسى، أي إلى النرفانا. وكونه هو نفسه عرضة للفساد، وقد فهم الخطر فيما هو عرضة للفساد، فإنه يسعى وراء الأمان الكامل الخالي من الفساد ليكسر القيود، أي إلى النرفانا. هذا هو السعي النبيل.

أيها الرهبان! قبل استنارتي، حين كنتُ بوديساتفا غير مُستتير، ولما كنتُ أنا نفسي عرضة للموت، سعيتُ وراء ما هو عرضة للميلاد. ولما كنتُ أنا نفسي عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، فقد سعيت وراء ما هو عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد. ثم تأملت وتفكرت في الأمر هكذا: لماذا، وأنا نفسي عرضة للميلاد، أسعى إلى ما هو عرضة للميلاد أيضًا؟ ولماذا، وأنا نفسي عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، أسعى أيضًا وراء ما هو عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد؟ ينبغي عليّ إذن وأنا عرضة للميلاد، وقد فهمتُ خطر ما هو عرضة للميلاد، أن أسعى وراء الأمان الكامل الذي يتجاوز دائرة الولادة، لأتخلص من القيود، أي إلى النرفانا. ولما كنتُ عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، وقد فهمتُ خطر ما هو عرضة للشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، وجب أن أسعى إلى التخلص من القيود من خلال الأمان الكامل، الخالي من الشيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، أي إلى النرفانا.

ولاحقًا، حين كنتُ ما أزال شابًا، شابًا بشعرٍ أسود، موهوبًا نعمة الشباب، في عنفوان الحياة، خلقتُ شعري ولحيتي ولبستُ رداء الرهبنة الأحمر، وغادرتُ حياة المنزل لأعيش بلا مأوى، مع أن أمي وأبي بكيا وانتحبا، وتمنّيا لو أنني لم أفعل ذلك.

وإذ مضيتُ، أيها الرهبانُ، في سعبي وراء ما هو نافع، وراء الحالة السامية من السلام المُطلق، ذهبتُ للقاء أَلارِ كالام *Ālāra Kālāma*، وقلتُ له: "يا صديقي أَلارِ، أريد أن أعيش حياة روحانية في التعاليم والانضباط". فأجاب أَلارِ: "يمكن للسيد النبيل أن يمكث هنا، والتعاليم التي أعلمها هنا يستوعبها

الإنسان الحكيم بسرعة ويسكن إليها، مُدرِّكًا بنفسه ومن خلال المعرفة المباشرة تعاليم معلّمه". فتعلّمت هذه التعاليم بسرعة. ومن مجرد التكرار اللفظي لما علّمه، كنت قادرًا على التكلّم بمعرفة وثقة، وادّعيْتُ أنني أعلم وأرى. وهناك آخرون قاموا بذلك أيضًا.

نظرت في الأمر: ليس من خلال الإيمان وحده. صرّح الأار: "من خلال إدراكها بنفسي ومن خلال المعرفة المباشرة، دخلت في هذه التعاليم وسكنت إليها". بالطبع، إنّ الأار سكن بمعرفة هذه التعاليم ورؤيتها. ثم ذهبت إلى الأار وسألته: "يا صديقي الأار، على أيّ أساس تُصرّح بأنّه من خلال إدراكها بنفسك بالمعرفة المباشرة تدخل وتُسكن في هذه التعاليم؟". فردّ وقال: "على أساس العدم".

نظرت في الأمر: ليس الأار وحده من عنده إيمانٌ وطاقةٌ وحضورٌ ذهنيٌّ وتركيزٌ وحكمة. فأنا أيضًا لديّ إيمانٌ وطاقةٌ وحضورٌ ذهنيٌّ وتركيزٌ وحكمة. إذن، ينبغي عليّ أيضًا أن أدرك التعاليم التي أعلن الأار أنّه دخل إليها، وسكن فيها بنفسه، من خلال المعرفة المباشرة.

دخلت بسرعة في هذه التعاليم وتأملت فيها من خلال إدراكها بنفسي وبالمعرفة المباشرة. ثم ذهبت إلى الأار وسألته: "صديقي الأار، أبهذا الشكل تُصرّح بأنك تدخل وتتأمل في هذه التعاليم من خلال إدراكها بنفسك وبالمعرفة المباشرة؟".

- "تلك هي الطريق، يا صديقي".

- "إنّه بهذا الشكل، يا صديقي، أدخل إلى التعاليم وتأمل فيها بأن أدركها بنفسي وبالمعرفة المباشرة".

- "إنّه مكسب لنا، يا صديقي، إنّه مكسب عظيم لنا أنّ لدينا هذا الموقر لرفاقنا الرهبان. فالتعاليم التي

أقول إنني أدخل إليها وتأمل فيها بأن أدركها بنفسي وبالمعرفة المباشرة، هي التعاليم نفسها التي تدخل إليها

وتتأمل فيها من خلال إدراكها بنفسك وبالمعرفة المباشرة. والتعاليم التي تدخل إليها وتتأمل فيها من خلال

إدراكها بنفسك وبالمعرفة المباشرة، هي التعاليم نفسها التي أقول إنني أدخل إليها وتأمل فيها بأن أدركها

بنفسي وبالمعرفة المباشرة. فأنت تعرف التعاليم التي أعرفها، وأنا أعرف التعاليم التي تعرفها. فكما أنا كذلك أنت، وكما أنت كذلك أنا. تعال، يا صديقي، ودعنا نقود هذا المجتمع معاً".

وهكذا، جعلني أَلار، مُعلِّمي - وأنا تلميذه - في الدرجة نفسها، ومنحني أعلى مراتب الشرف. ولكن، خطر لي خاطرٌ: إن هذه التعاليم لا تقودني إلى التحرُّر من الأوهام وإلى السكينة وإلى انطفاء المعاناة، وإلى السَّلام والمعرفة المباشرة والاستتارة، وإلى الترفانا. بل تقودني إلى إعادة الميلاد على أساس العدم. ولأنني لم أكن راضيًا بتلك التعاليم، ولأنها خيبت ظني، غادرتُ.

وبينما كنتُ ما أزال ساعياً، أيُّها الرهبان، وراء ما هو نافع ووراء حالة السَّلام المطلق، ذهبتُ إلى أدكا رامبُتَّا Uddaka Rāmaputta، وقلتُ له: "يا صديقي، أريد أن أعيش حياةً روحانيةً ضمن هذه التعاليم". فأجاب أدكا: "سيدي الموقر، يُمكنك أن تمكث هنا. فالتعاليم هنا تجعل الإنسان الحكيم يدخل إليها ويتأمل فيها، ويصل إلى الإدراك بنفسه وبالمعرفة المباشرة لتعاليم أستاذه". فتعلَّمتُ هذه التعاليم بسرعة. ومن مجرد التكرار اللفظي لما تعلَّمته، كنتُ قادرًا على التكلُّم بمعرفةٍ وثقةٍ، وأدَّعيتُ أنني أعلم وأرى. وهناك آخرون قاموا بذلك أيضًا.

تأملتُ وتفكرتُ: ليس لمجرد الإيمان وحده أعلنَ راما Rāma قائلاً: "بإدراكي لذلك بنفسي وبالمعرفة المباشرة، أدخلُ وأتأملُ هذه التعاليم". بالطبع إن راما سكنَ في معرفة التعاليم ورؤيتها. ثم ذهبتُ إلى أدكا رامبُتَّا وسألته: "يا صديقي، بأيِّ شكل تُصرِّح بأنه من خلال إدراكك بنفسك المعرفة المباشرة تدخل وتتأمل في هذه التعاليم؟". ردَّ وقال: "ليس على أساس الإدراك، ولا عدم الإدراك".

تأملتُ وتفكرتُ: ليس راما وحده من له إيمانٌ وطاقةٌ وحضورٌ ذهنيٌّ وتركيزٌ وحكمةٌ. فأنا أيضًا لديَّ إيمانٌ وطاقةٌ وحضورٌ ذهنيٌّ وتركيزٌ وحكمةٌ. إذن، ينبغي أن أدرك أن التعاليم التي أعلن راما أنه دخل إليها وتأمل فيها بنفسه، هي المعرفة المباشرة.

دَخَلْتُ بِسُرْعَةٍ فِي التَّعَالِيمِ وَتَأَمَّلْتُ فِيهَا مِنْ خِلَالِ إِدْرَاكِي بِنَفْسِي وَبِالْمَعْرِفَةِ الْمُبَاشِرَةِ. ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى أُدْكَا رَامْبُتَّا، وَسَأَلْتُهُ: "يَا صَدِيقِي، أَبْهَذَا الشَّكْلِ صَرَّحَ رَامَا بِأَنَّهُ دَخَلَ وَتَأَمَّلَ فِي هَذِهِ التَّعَالِيمِ مِنْ خِلَالِ إِدْرَاكِهِ بِنَفْسِهِ وَبِالْمَعْرِفَةِ الْمُبَاشِرَةِ؟".

- "تلك هي الطريق، يا صديقي".

- "إنه بهذا الشكل، يا صديقي، دخلت أنا أيضًا إلى التعاليم وتأملت فيها، فأدركتها بنفسِي وبالمعرفة المباشرة".

- "إنه مكسب لنا، يا صديقي، إنه مكسب عظيم لنا أن لدينا هذا الموقر لرفاقنا الرهبان. فالتعاليم التي أعلن راما بأنه دخل إليها وتأمل فيها بأن أدركها بنفسه وبالمعرفة المباشرة، هي التعاليم نفسها التي تدخل فيها وتتأمل فيها أنت، من خلال إدراكك بنفسك بالمعرفة المباشرة. والتعاليم التي تدخل إليها وتتأمل فيها، من خلال إدراكك بنفسك وبالمعرفة المباشرة، هي التعاليم نفسها التي أعلن راما أنه دخل إليها وتأمل فيها، فأدركها بنفسه وبالمعرفة المباشرة. فأنت تعرف التعاليم التي عرفها راما، وراما عرف التعاليم التي تعرفها. فكما كان راما كذلك أنت، وكما أنت كذلك كان راما. تعال، يا صديقي، دعنا نقود هذا المجتمع معًا".

وهكذا، جعلني أدكا رامبوتا، رفيقي الراهب، في مقام معلم، ومنحني أعلى مراتب الشرف. ولكن، خطر لي: إن هذه التعاليم لا تقودني إلى التحرر من الأوهام، وإلى السكينة، وإلى انطفاء المعاناة، وإلى السلام والمعرفة المباشرة والاستتارة، وإلى النرفانا. لكنها تقودني إلى دائرة المعاناة، ليس على أساس الإدراك ولا عدم الإدراك.

ولأنتني لم أكن راضيًا بتلك التعاليم، ولأنها خيبت ظنِّي، غادرتُ.

وبينما كنت ما أزال ساعيًا، أيتها الرهبان، وراء ما هو نافع ووراء حالة السلام المطلق، تجولت على مراحل عبر بلاد ماغادا Magadha، حتى وصلت أخيرًا إلى أوروفيل Uruvelā، القريبة من سينانغما

Senānigama. هناك وَجَدْتُ قِطْعَةً أَرْضٍ مُلَائِمَةً، وَبُسْتَانًا بَهِيحًا. وَنَهْرًا مُتَدَفِّقًا، بِضِفَافٍ مُنْبَسِطَةٍ، وَقَرْيَةً قَرِيبَةً يُمَكِّنُ فِيهَا الحُصُولَ عَلَى الطَّعَامِ.

تَأَمَّلْتُ وَتَفَكَّرْتُ: هَذِهِ قِطْعَةُ أَرْضٍ مُلَائِمَةٍ، وَبُسْتَانٌ بَهِيحٌ. وَنَهْرٌ مُتَدَفِّقٌ، بِضِفَافٍ مُنْبَسِطَةٍ، وَقَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ يُمَكِّنُ الحُصُولَ عَلَى الطَّعَامِ مِنْهَا. وَهَذَا سَيُسَاعِدُ فِيمَا أَسْعَى إِلَيْهِ. فَجَلَسْتُ مُفَكِّرًا: هَذَا سَيُعِينُنِي فِي سَعْيِي.

ثُمَّ، أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، لَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِلْمِيلَادِ، وَقَدْ فَهَمْتُ خَطَرَ مَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلْمِيلَادِ، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ الأَزَلِيِّ، الخَالِي مِنَ القُيُودِ، أَيِ النِّرْفَانَا، فَقَدْ نِلْتُ الأَمَانَ الكَامِلَ مِنَ القُيُودِ، أَيِ النِّرْفَانَا.. وَلَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِكِبَرِ السِّنِّ، وَقَدْ فَهَمْتُ الخَطَرَ فِيمَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلشَّيْخُوخَةِ، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ مِنَ القُيُودِ، الخَالِي مِنَ الهَزَمِ، أَيِ النِّرْفَانَا.. وَلَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِلْمَرَضِ، وَقَدْ فَهَمْتُ الخُطُورَةَ فِيمَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلْمَرَضِ، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ مِنَ القُيُودِ، الخَالِي مِنَ الْمَرَضِ، أَيِ النِّرْفَانَا.. وَلَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِلْمَوْتِ، وَقَدْ فَهَمْتُ الخَطَرَ فِي مَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلْمَوْتِ، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ مِنَ القُيُودِ، الخَالِي مِنَ الْمَوْتِ، أَيِ النِّرْفَانَا... وَلَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِلأَسَى، وَقَدْ فَهَمْتُ الخَطَرَ فِي مَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلأَسَى، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ مِنَ القُيُودِ، الخَالِي مِنَ الأَسَى، أَيِ النِّرْفَانَا.. وَلَمَّا كُنْتُ عُرْضَةً لِلْفَسَادِ، وَقَدْ فَهَمْتُ الخَطَرَ فِي مَا هُوَ عُرْضَةٌ لِلْفَسَادِ، وَسَعَيْتُ وَرَاءَ الأَمَانِ الكَامِلِ مِنَ القُيُودِ، الخَالِي مِنَ الفَسَادِ، أَيِ النِّرْفَانَا. وَهَكَذَا، أَشْرَقْتُ فِي دَاخِلِي المَعْرِفَةَ والرُّؤْيِيَّةَ: مَا نِلْتُهُ مِنْ تَحَرُّرٍ ثَابِتٍ غَيْرِ مَهْزُوزٍ. إِنَّهُ آخِرُ مِيلَادٍ لِي، وَلَنْ يَكُونَ لِي وَجُودٌ آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ.

المصدر: (MN 26: Ariyapariyesana Sutta, I 160–67)

إدراك المعارف الحقيقية الثلاث

[سأل سنتشك Saccaka السيّد المبارك]:

- "هل نشأ في الماستر غوثمًا، في أيّ وقتٍ، شعورٌ من السرور غمر ذهنه، واستقرّ فيه؟ هل نشأ

في الماستر غوثمًا، في أيّ وقتٍ، شعورٌ من الألم الشديد استولى على ذهنه واستقرّ فيه؟".

- "لم لا، يا أغفيسنا Aggivessana؟ هنا، يا أغفيسنا، وقبل استنارتي، حين كنتُ بُوديساتفا ولم

أستبر بعدُ، فكّرتُ في نفسي: حياة المنازل كثيرة الأشغال والغبرة (أي فيها ما يُثير التعلّق والقلق والغضب

والاشتهاء)، لكنّ الحياة بعد ترك المنازل مفتوحة على مصراعها. ليس من السهل، وأنا أعيش في المنزل،

أن أقود حياة القداسة بشكلٍ كاملٍ تمامًا، ونقيٍّ مثل صدفة مصقولة. ينبغي عليّ، إذن، أن أحلق شعري

ولحيتي، وأن ألبس رداء الرهبنة الأحمر، وأن أترك حياة المنازل إلى حياة الرهبنة.

ولاحقًا، حين كنتُ ما أزال شابًا، شابًا بشعرٍ أسود، موهوبًا نعمة الشباب، وفي عنفوانه، خلقتُ

شعري ولحيتي ولبستُ رداء الرهبنة الأحمر، وغادرتُ حياة المنزل لأعيش بلا مأوى، مع أنّ أمي وأبي بكيا

وانتحبا، وتمنّيا لو لم أفعل ذلك.

والآن خطرت لي هذه التشبيهات الثلاثة تلقائيًا، إذ لم أسمع بها من قبلُ أبدًا: لنفترض أنّ هناك

قطعة خشبٍ غصّة ملقاة في الماء، وجاء رجلٌ بعصاةٍ مُشتعلةٍ من الأعلى، وفكّر: سوف أشعل النار

للحصول على الدّفء. ماذا تظنّ يا أغفيسنا؟ هل يُمكن للرجل أن يُشعل النار ليحصل على الدّفء من

خلال فرك العصاة المُشتعلة بقطعة الخشب الغصّة الملقاة في الماء؟".

- "لا، يا ماستر غوثمًا!"

- "ولم لا؟"

- "لأنها قطعة خشب غضة مبللة وملقاة في الماء. وفي النهاية، لن ينوب هذا الرجل سوى الإرهاق

وخبية الأمل".

- "كذلك الأمر أيضًا يا أغفسننا، بالنسبة إلى أولئك الزهاد ورهبان البراهمن الذين لم تتحرر أجسادهم

من المتع الحسية، ولم ينبذوا الشهوة الحسية والافتتان بها، ولم يخدموا حمى المتع الحسية في داخلهم. ومع

أن أولئك الزهاد ورهبان البراهمن الجيدين يشعرون بمشاعر موجهة ومؤلمة ولادعة بسبب اجتهادهم، إنهم

غير قادرين على المعرفة والرؤية والاستتارة العليا. وحتى لو أن أولئك الزهاد ورهبان البراهمن الجيدين لم

يشعروا بمشاعر موجهة ومؤلمة ولادعة بسبب اجتهادهم، إنهم غير قادرين على المعرفة والرؤية والاستتارة

العليا. كان هذا أول تشبيه خطر لي تلقائيًا، ولم أسمع به البتة من قبل.

مرة أخرى يا أغفسننا، خطر لي تلقائيًا تشبيه ثانٍ لم أسمع به من قبل أبدًا. لنفترض أن هناك قطعة

خشب غضة مبللة ملقاة على أرض جافة بعيدًا عن الماء، وجاء رجل بعصاة مشتعلة من الأعلى، وفكر:

سوف أشعل النار للحصول على الدفء. ماذا تظن يا أغفسننا؟ هل يمكن للرجل أن يشعل النار ليحصل

على الدفء، من خلال فرك العصاة المشتعلة بقطعة الخشب الغضة المبللة والملقاة على أرض جافة بعيدًا

عن الماء؟".

- "لا، يا ماستر غوتما!".

- "ولم لا؟"

- "لأنها قطعة خشب غضة مبللة، ولو أنها ملقاة على أرض جافة بعيدًا عن الماء. وفي النهاية،

لن ينوب الرجل سوى الإرهاق وخبية الأمل".

- "كذلك الأمر أيضًا يا أغفسننا، بالنسبة إلى أولئك الزهاد ورهبان البراهمن الذين لم تتحرر أجسادهم

من المتع الحسية، ولم ينبذوا الشهوة الحسية والافتتان بها، ولم يخدموا حمى المتع الحسية في داخلهم. ومع

أن أولئك الزهاد ورهبان البراهمن الجيدين يشعرون بمشاعر موجهة ومؤلمة ولادعة بسبب اجتهادهم، إنهم

غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ الْعُلْيَا. وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَوْلِيكَ الزُّهَادَ وَرُهَبَانَ الْبِرَاهِمَنِ الْجَيِّدِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَشَاعَرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ، إِنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ الْعُلْيَا. كَانَ هَذَا ثَانِي تَشْبِيهِ خَطَرٍ لِي تَلْقَائِيًّا، وَلَمْ أَسْمَعْ بِهِ الْبَيِّنَةَ مِنْ قَبْلُ.

مَرَّةً أُخْرَى يَا أَغْفِسْنَا، خَطَرَ لِي تَلْقَائِيًّا تَشْبِيهِ ثَالِثٍ لَمْ أَسْمَعْ بِهِ مِنْ قَبْلُ أَبَدًا. لِنَفْتَرِضَ أَنَّ هُنَاكَ قِطْعَةً خَشَبٍ جَائِفَةٌ مُلْقَاةٌ عَلَى أَرْضٍ جَائِفَةٍ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ، وَجَاءَ رَجُلٌ بِعَصَاةٍ مُشْتَعِلَةٍ مِنَ الْأَعْلَى، وَفَكَّرَ: سَوْفَ أَشْعِلُ النَّارَ لِلْحُصُولِ عَلَى الدِّفْعِ. مَاذَا تَنْظُرُ يَا أَغْفِسْنَا؟ هَلْ يُمَكِّنُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُشْعِلَ النَّارَ لِيَحْصُلَ عَلَى الدِّفْعِ، مِنْ خِلَالِ فَرَكِ الْعَصَاةِ الْمُشْتَعِلَةِ بِقِطْعَةِ الْخَشَبِ الْجَائِفَةِ، الْمُلْقَاةِ عَلَى أَرْضٍ جَائِفَةٍ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ؟".

- "نعم، يا ماستر غوتاما".

- "ولم ذلك؟"

- "لأنها قِطْعَةُ خَشَبٍ جَائِفَةٌ مُلْقَاةٌ عَلَى أَرْضٍ جَائِفَةٍ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ".

- "كذلك الأمر، يا أَغْفِسْنَا، بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَوْلِيكَ الزُّهَادِ وَرُهَبَانِ الْبِرَاهِمَنِ الَّذِينَ تَحَرَّرَتْ أَجْسَادُهُمْ مِنَ الْمُتَعِ الْحَسِيَّةِ، وَنَبَذُوا الشَّهْوَةَ الْحَسِيَّةَ وَالْإِفْتِتَانَ بِهَا، وَأَخْمَدُوا حُمَى الْمُتَعِ الْحَسِيَّةِ فِي دَاخِلِهِمْ. فَمَعَ أَنَّ أَوْلِيكَ الزُّهَادَ وَرُهَبَانَ الْبِرَاهِمَنِ الْجَيِّدِينَ يَشْعُرُونَ بِمَشَاعَرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ، إِنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ الْعُلْيَا. وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَوْلِيكَ الزُّهَادَ وَرُهَبَانَ الْبِرَاهِمَنِ الْجَيِّدِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَشَاعَرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ، إِنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ الْعُلْيَا. كَانَ هَذَا ثَالِثَ تَشْبِيهِ خَطَرٍ لِي تَلْقَائِيًّا، وَلَمْ أَسْمَعْ بِهِ الْبَيِّنَةَ مِنْ قَبْلُ".

فَكَرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي، وَأَنَا أَعْضُ بِأَسْنَانِي، وَلِسَانِي يَضْغَطُ عَلَى سَقْفِ حَلْقِي، هَزَمْتُ ذِهْنِي بِذِهْنِي وَحَطَّمْتُهُ. لِذَلِكَ، وَأَنَا أَعْضُ بِأَسْنَانِي، وَلِسَانِي يَضْغَطُ عَلَى سَقْفِ حَلْقِي، هَزَمْتُ ذِهْنِي وَقَيَّدْتُهُ وَحَطَّمْتُهُ. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقُومُ بِذَلِكَ، خَرَجَ الْعَرَقُ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْ. فَكَمَا الرَّجُلُ الْقَوِيُّ يُمَسِكُ بِرَأْسِ رَجُلٍ ضَعِيفٍ وَبِكْتَفِيهِ،

وَيَضْرِبُهُ وَيُعِيدُهُ وَيُحْطِمُهُ، كَذَلِكَ وَأَنَا أَعْضُ بِأَسْنَانِي، وَلِسَانِي يَضْعَطُ عَلَى سَقْفِ حَلْقِي، هَزَمْتُ ذِهْنِي وَقَيَّدْتُهُ وَحَطَّمْتُهُ، وَالْعَرَقُ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْ. وَلَكِنْ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي مُجْهَدًا وَمُقَيَّدًا لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأَ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّغَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، أَوْ يُسَيِّطِرَ عَلَيْهِ.

فَكَّرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي أُمَارِسُ التَّأَمُّلَ بِلَا نَفْسٍ. فَأَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالرَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقُومُ بِذَلِكَ، كَانَ هُنَاكَ صَوْتُ رِيحٍ عَالٍ آتٍ مِنْ أَدْنِي. مِثْلُهُ مِثْلُ الصَّوْتِ الْعَالِي الَّذِي يَصْدُرُ مِنْ نَفْخِ الْحَدَادِ لِلْكُورِ. وَلَكِنْ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي مُجْهَدًا وَمُقَيَّدًا لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأَ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّغَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، وَلَمْ يُسَيِّطِرَ عَلَيْهِ.

فَكَّرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي أُمَارِسُ التَّأَمُّلَ بِلَا نَفْسٍ. فَأَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالرَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأَدْنِي. وَعِنْدَمَا قُمْتُ بِذَلِكَ، كَانَ هُنَاكَ صَوْتُ رِيحٍ عَنِيفٍ فِي رَأْسِي، وَكَأَنَّ رَجُلًا قَوِيًّا كَانَ يَضْعَطُ رَأْسِي بِطَرْفِ سَيْفٍ حَادٍ. كَذَلِكَ أَيْضًا، عِنْدَمَا أَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالرَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأَدْنِي، كَانَ هُنَاكَ صَوْتُ رِيحٍ عَنِيفٍ فِي رَأْسِي. وَعِنْدَمَا قُمْتُ بِذَلِكَ، تَغَلَّغَلَّ صَوْتُ رِيحٍ عَنِيفٍ فِي رَأْسِي. وَلَكِنْ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي مُجْهَدًا وَمُقَيَّدًا لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأَ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّغَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، وَلَمْ يُسَيِّطِرَ عَلَيْهِ.

فَكَّرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي أُمَارِسُ التَّأَمُّلَ بِلَا نَفْسٍ. فَأَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالرَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأَدْنِي. وَعِنْدَمَا قُمْتُ بِذَلِكَ، كَانَ هُنَاكَ أَلْمٌ عَنِيفٌ فِي رَأْسِي. وَكَأَنَّ رَجُلًا قَوِيًّا كَانَ يَشُدُّ رَأْسِي بِجِزَامٍ جِلْدِيٍّ مِثْلِ رِبْطَةِ الرَّأْسِ. كَذَلِكَ أَيْضًا، عِنْدَمَا أَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالرَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأَدْنِي، كَانَ هُنَاكَ أَلْمٌ عَنِيفٌ فِي رَأْسِي. وَلَكِنْ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي

مُجْهِدًا وَمُقَيَّدًا لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأُ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّعَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، وَلَمْ يُسَيِّطِرْ عَلَيْهِ.

فَكَّرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي أُمَارِسُ الْمَزِيدَ مِنَ التَّأَمُّلِ بِلَا نَفْسٍ. فَأَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالزَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذْنِي. وَعِنْدَمَا قُمتَ بِذَلِكَ، نَشَأَتْ رِيحٌ عَنِيفَةٌ حَفَرَتْ بَطْنِي، كَمَا الْجَزَارُ الْمَاهِرُ، أَوْ تَلْمِيذُهُ، يَحْفَرُ بَطْنَ النَّوْرِ بِسِكِّينِ الْجَزَارِ الْحَادَّةِ. كَذَلِكَ أَيْضًا، عِنْدَمَا أَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالزَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذْنِي، نَشَأَتْ رِيحٌ عَنِيفَةٌ حَفَرَتْ بَطْنِي. وَلَكِنَّ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي مُجْهِدًا وَمُقَيَّدًا، لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأُ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّعَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، وَلَمْ يُسَيِّطِرْ عَلَيْهِ.

فَكَّرْتُ: لِنَفْتَرِضَ أَنَّي أُمَارِسُ الْمَزِيدَ مِنَ التَّأَمُّلِ بِلَا نَفْسٍ. فَأَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالزَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذْنِي. وَعِنْدَمَا قُمتَ بِذَلِكَ، كَانَ هُنَاكَ حَرِيقٌ عَنِيفٌ فِي جَسَدِي. وَكَأَنَّ رَجُلَيْنِ قَوِيَّيْنِ أَمْسَكَ بَرَجْلٍ ضَعِيفٍ مِنْ ذِرَاعِيهِ، وَرَاحَا يَشْوِيَانِهِ فَوْقَ حُفْرَةٍ مِنَ الْفَحْمِ الْحَارِّ. كَذَلِكَ أَيْضًا، عِنْدَمَا أَوْقَعْتُ الشَّهِيقَ وَالزَّفِيرَ مِنْ خِلَالِ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذْنِي، كَانَ هُنَاكَ حَرِيقٌ عَنِيفٌ فِي جَسَدِي. وَلَكِنَّ، مَعَ أَنَّهُ نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي طَاقَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ، وَصَارَ عِنْدِي حُضُورٌ ذِهْنِي مُسْتَمِرٌّ، صَارَ جَسَدِي مُجْهِدًا وَمُقَيَّدًا، لِأَنَّ هَذَا الْجُهْدَ الْمُؤَلِّمَ أَرَهَقَنِي. وَلَكِنَّ هَذَا الشُّعُورَ الْمُؤَلِّمَ الَّذِي نَشَأُ فِي دَاخِلِي لَمْ يَتَغَلَّعَلْ فِي ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، وَلَمْ يُسَيِّطِرْ عَلَيْهِ.

وَالآنَ، عِنْدَمَا رَأَيْتِي الْإِلَهَةَ، قَالَ الْبَعْضُ: "مَاتَ غَوْتَمَا الزَّاهِدُ". وَقَالَ آخَرُونَ: "غَوْتَمَا الزَّاهِدُ لَمْ يَمُتْ، إِنَّهُ يُحْتَضِرُ". وَقَالَ آخَرُونَ: "غَوْتَمَا الزَّاهِدُ لَمْ يَمُتْ وَلَيْسَ يُحْتَضِرُ، إِنَّهُ أَرَهَاتُ، وَهَكَذَا يَسْكُنُ الْأَرَهَاتُ".

فَكَّرْتُ: إِنَّي أُمَارِسُ الْإِمْتِنَاعَ الْكَامِلَ عَنِ الطَّعَامِ. ثُمَّ جَاءَتِ الْإِلَهَةُ وَقَالَتْ: "أَيُّهَا السَّيِّدُ الطَّيِّبُ، لَا تَقُمْ بِالْإِمْتِنَاعِ الْكَامِلِ عَنِ الطَّعَامِ. فَإِذَا قُمتَ بِذَلِكَ فَسَوْفَ نُقَدِّمُ لَكَ طَعَامًا سَمَاوِيًّا، وَنُدْخِلُهُ فِي مَسَامَاتِ جِدِّكَ. وَذَلِكَ سَوْفَ يُبْقِيكَ حَيًّا". تَأَمَّلْتُ فِي ذَلِكَ: إِذَا كُنْتُ أَدَّعِي أَنَّي أَصُومُ بِشَكْلِ كَامِلٍ، بَيْنَمَا نَقُومُ تِلْكَ

الآلهة بتقديم طعام سماوي لي، وتدخله في مسامات جلدي لكي أبقى حيًا، إذن، أكون كاذبًا ، حينها. لذلك نَبَذْتُ هذه الآلهة قائلًا: "لا حاجة بي إلى ذلك".

وَفَكَّرْتُ: يَنْبَغِي أَنْ أَتَنَاوَلَ الْقَلِيلَ مِنَ الطَّعَامِ، حُفْنَةً كُلَّ مَرَّةٍ، سَوَاءً مِنْ حِساءِ الحُبُوبِ أَوْ حِساءِ العَدِسِ، أَوْ حِساءِ البازِيْلَاءِ. فَأَخَذْتُ القَلِيلَ مِنَ الطَّعَامِ، حُفْنَةً كُلَّ مَرَّةٍ، إمَّا مِنْ حِساءِ الحُبُوبِ أَوْ حِساءِ العَدِسِ. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقُومُ بِذَلِكَ، صَارَ جِسْمِي فِي ضُمُورٍ شَدِيدٍ؛ لِأَنَّي تَنَاوَلْتُ القَلِيلَ جَدًّا، فَأَصْبَحْتُ أَطْرَافِي مِثْلَ جُذُوعِ الكَرْمَةِ أَوْ جُذُوعِ البامبو المَرْبُوطَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، أَصْبَحْتُ مُؤَخَّرَتِي مِثْلَ حَافِرِ الجَمَلِ.. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، أَصْبَحَ عَمُودِي الفِقْرِيُّ بَارِزًا مِثْلَ حَبَّاتِ المِسْبَحَةِ. وَبَرَزَتْ ضُلُوعِي مِنَ النُّحْفِ، مِثْلَ عَوَارِضِ الحَشَبِ النَّاتِيَةِ فِي إِسْطَبِلٍ بِلَا سَقْفٍ. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، غَادَرَ بَرِيقُ عُيُونِي مِثْلَمَا يَضِيعُ بَرِيقُ المَاءِ فِي بئرٍ عَمِيقَةٍ. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، تَجَعَّدَتْ فَرُوهُ رَأْسِي مِثْلَ قَرَعَةٍ حَضْرَاءَ مَرَّةٍ تَجَعَّدَتْ وَذَبَلَتْ بِفِعْلِ الرِّيحِ وَالشَّمْسِ. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، التَّصَّقَ جِلْدُ بَطْنِي بِعِظَامِ ظَهْرِي. فَإِذَا لَمَسْتُ جِلْدَ بَطْنِي، وَجَدْتُ عَمُودِي الفِقْرِيُّ، وَإِذَا لَمَسْتُ عَمُودِي الفِقْرِيُّ وَجَدْتُ بَطْنِي. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، كُنْتُ إِذَا تَبَوَّلْتُ أَوْ تَبَرَّزْتُ، أَقْعُ عَلَى وَجْهِي هُنَاكَ.. وَبِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، كُنْتُ إِذَا حَاوَلْتُ أَنْ أُحْفَفَ عَلَى نَفْسِي بِأَنْ أَفْرُكَ أَطْرَافِي بِيَدَيَّ، فَإِنَّ شَعْرِي الَّذِي تَعَفَّنَتْ جُذُورُهُ يَتَساقَطُ وَأَنَا أَقُومُ بِالفَرَكِ.

حِينَمَا كَانَ يِرَانِي النَّاسُ، كَانَ البَعْضُ يَقُولُ: "عَوْتَمَا الزَّاهِدُ أَسْوَدٌ". وَقَالَ آخَرُونَ: "عَوْتَمَا الزَّاهِدُ لَيْسَ أبيضَ، إِنَّهُ بَيْيٌّ". وَقَالَ آخَرُونَ: "عَوْتَمَا الزَّاهِدُ لَيْسَ أَسْوَدَ وَلَا بَيْيًّا، إِنَّهُ ذَهَبِيُّ البَشْرَةِ". لَقَدْ فَسَدَ لُونُ بَشْرَتِي الزَّاهِيَةِ وَالصَّافِيَةِ بِسَبَبِ تَنَاوُلِ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ.

وَفَكَّرْتُ: مَهْمَا مَرَّ بِهِ الزُّهَادُ وَرُهْبَانُ البِرَاهِمَنَ مِنْ مَشَاعَرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ، فَإِنَّ مَا بَدَلَتْهُ كَانَ الأَقْصَى، لَيْسَ هُنَاكَ أَكْثَرُ. وَمَهْمَا يَقُمُ بِهِ الزُّهَادُ وَرُهْبَانُ البِرَاهِمَنَ مِنْ مَشَاعَرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ فِي المُسْتَقْبَلِ، فَإِنَّ مَا قُمْتُ بِهِ هُوَ الأَقْصَى، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ.

ومهما يُقَمُّ به الرُّهَادُ ورُهْبَانُ البراهِمَنَ مِنْ مَشَاعِرَ مُوجِعَةٍ وَمُؤَلِّمَةٍ وَلَاذِعَةٍ بِسَبَبِ اجْتِهَادِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، فَإِنَّ مَا قُمْتُ بِهِ هُوَ الْأَقْصَى، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ. وَلَكِنِّي مِنْ خِلَالِ التَّقَشُّفِ الشَّدِيدِ الْمُوجِعِ، لَمْ أَتَلْ أَيَّ تَقْوُقٍ خَارِقٍ فِي الْمَعْرِفَةِ أَوْ الرُّؤْيَةِ، يَلِيْقُ بِأَيِّ شَخْصٍ نَبِيلٍ. فَهَلْ هُنَاكَ أَيُّ مَسَارٍ آخَرَ لِلِاسْتِنَارَةِ؟

وَفَكَّرْتُ: تَذَكَّرْتُ عِنْدَمَا كَانَ أَبِي، وَهُوَ سَيِّدُ عَشِيرَةِ السَّاكِيَا، مُنْشَغَلًا، وَكُنْتُ جَالِسًا تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ نُقَاحِ الْوَرْدِ، مُنْعَزِلًا عَنِ أَيِّ مُنْتَعِ حِسِّيَّةٍ وَأَيِّ حَالَاتٍ غَيْرِ مُفِيدَةٍ، دَخَلْتُ وَسَكَنْتُ فِي أَوَّلِ حَالَةِ جَانَا jhāna، الَّتِي يُصَاحِبُهَا الْفِكْرُ وَالتَّحْلِيلُ، وَحَالَاتُ النَّشْوَةِ وَالسَّعَادَةِ النَّاشِئَةُ عَنِ الْخَلْوَةِ. فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ مَسَارَ الْاسْتِنَارَةِ؟ ثُمَّ تَلَا تِلْكَ الذِّكْرَى إِدْرَاكًا بِأَنَّهُ هَذَا هُوَ بِالْفِعْلِ مَسَارُ الْاسْتِنَارَةِ.

وَفَكَّرْتُ: لِمَاذَا أَنَا خَائِفٌ مِنْ تِلْكَ السَّعَادَةِ غَيْرِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْمُنْتَعِ الْحِسِّيَّةِ وَالحَالَاتِ غَيْرِ النَّافِعَةِ؟

وَفَكَّرْتُ: أَنَا لَسْتُ خَائِفًا مِنْ تِلْكَ السَّعَادَةِ غَيْرِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْمُنْتَعِ الْحِسِّيَّةِ وَالحَالَاتِ غَيْرِ النَّافِعَةِ.

وَتَأَمَّلْتُ: لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ نَيْلُ تِلْكَ السَّعَادَةِ، وَالْجَسَدُ مِنْهَا جِدًّا وَهَزِيلٌ. يَنْبَغِي أَنْ أَكُلَّ بَعْضَ الطَّعَامِ، بَعْضَ الْأُرْزِّ الْمَغْلِيِّ وَالْعَصِيدَةِ. فَأَكَلْتُ بَعْضَ الطَّعَامِ، بَعْضَ الْأُرْزِّ الْمَغْلِيِّ وَالْعَصِيدَةِ. وَكَانَ خَمْسَةُ رُهْبَانٍ يَنْتَظِرُونَنِي الْآنَ، وَيُفَكِّرُونَ: إِذَا حَازَ زَاهِدُنَا غَوْتَمًا حَالَةً عَلِيًّا، فَسَوْفَ يُخْبِرُنَا. لَكِنِّي حِينَمَا أَكَلْتُ الْأُرْزَّ الْمَغْلِيَّ وَالْعَصِيدَةَ، شَعَرَ الرُّهْبَانُ الْخَمْسَةَ بِالْإِسْمِزَازِ مِنِّي وَتَرَكَونِي. وَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: الزَّاهِدُ غَوْتَمًا يُعِيشُ الْآنَ حَيَاةً مُتَرَفَّةً، فَقَدْ تَرَكَ سَعِيَهُ وَعَادَ إِلَى التَّرَفِ.

وَالآنَ، بَعْدَمَا عُدْتُ أَكُلُّ الطَّعَامِ وَاسْتَعَدْتُ قُوَّتِي، ثُمَّ نَبَذْتُ الْمُنْتَعِ الْحِسِّيَّةَ وَالحَالَاتِ غَيْرِ النَّافِعَةِ، دَخَلْتُ وَسَكَنْتُ فِي أَوَّلِ حَالَةِ جَانَا jhāna، الَّتِي يُصَاحِبُهَا الْفِكْرُ وَالتَّحْلِيلُ، وَحَالَاتُ النَّشْوَةِ وَالسَّعَادَةِ النَّاشِئَةُ عَنِ الْخَلْوَةِ. لَكِنِّ مِثْلَ هَذَا الشُّعُورِ اللَّطِيفِ الَّذِي نَشَأُ فِي دَاخِلِي لَمْ يَغْمُرْ ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ.

وَمَعَ انْحِسَارِ الْفِكْرِ وَالتَّحْلِيلِ، دَخَلْتُ وَسَكَنْتُ فِي حَالَةِ الْجَانَا الثَّانِيَةِ، الَّتِي فِيهَا ثِقَةٌ دَاخِلِيَّةٌ وَاتِّحَادٌ بِالذَّهْنِ، مِنْ دُونَ فِكْرٍ وَلَا تَحْلِيلِ، وَفِيهَا سَعَادَةٌ وَنَشْوَةٌ نَاشِئَةٌ عَنِ التَّرْكِيزِ. لَكِنِّ مِثْلَ هَذَا الشُّعُورِ اللَّطِيفِ الَّذِي نَشَأُ فِي دَاخِلِي لَمْ يَغْمُرْ ذِهْنِي، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ.

ومع زوال النشوة، سكنت في حالة من الاتزان والسكينة والحضور الذهني والاستيعاب الواضح، وشعرت بسعادة في جسمي، ودخلت وسكنت في الجانا الثالثة، التي يعلنها النبلاء: إنه في حالة اتزان وسكينة وحضور ذهني، حالة من يسكن في سعادة. لكن مثل هذا الشعور اللطيف الذي نشأ في داخلي لم يغمُر ذهني، ولم يستقر فيه.

ومع نبذ السرور والألم، ومع زوال البهجة والسخط، دخلت وسكنت في الجانا الرابعة، وهي خالية من الألم والمتعة، وفيها صفاء الحضور الذهني من خلال الاتزان. لكن مثل هذا الشعور اللطيف الذي نشأ في داخلي لم يغمُر ذهني، ولم يستقر فيه.

عندما كان ذهني مُركّزاً هكذا، ونقيّاً لا تشوبه شائبة، وخالياً من أي اضطراب، ومرتباً، ومستقرّاً، وقد نال السكينة، وجّهته لمعرفة الحيات السابقة. فتذكرت أضعافاً من الحيات السابقة.. حياة واحدة، وحياتان، وثلاث حيات، وأربع حيات وخمس حيات وعشر حيات، وعشرون حياةً، وثلاثون حياةً، وأربعون حياةً، وخمسون حياةً، ومئة حياة، وألف حياة، ومئة ألف حياة، ودهور عدّة من انكماش العالم، ودهور عدّة من امتداد العالم: هناك كان اسمي كذا، من قبيلة كذا، وبشكل كذا. وكنت أكل كذا، وكانت تجاربي من الألم والمتعة كذا وكذا. كانت حياتي كذلك، ثم انتقلت بعيداً عن ذلك، فولدت في مكان آخر. وهناك أيضاً كان اسمي كذا، من قبيلة كذا، وبشكل كذا. وكنت أكل كذا، وكانت تجاربي من الألم والمتعة كذا وكذا. كانت حياتي كذلك، ثم انتقلت بعيداً عن ذلك، فولدت هنا. وهكذا كانت تفاصيل وملامح ما تذكرت من حيات ماضية.

كانت هذه أول معرفة حقيقية نلتها بنفسني في أول مرحلة من الليل. فتبدد الجهل ونشأت معرفة حقيقية. تبددت العتمة ونشأ نور، كما يحدث لمن يسكن في المثابرة والحماسة والعزيمة. لكن مثل هذا الشعور اللطيف الذي نشأ في داخلي لم يغمُر ذهني، ولم يستقر فيه.

عندما كان ذهني مُركّزًا هكذا، وبقيةً لا تشوبه شائبة، وخاليًا من أي اضطرابٍ، ومرنًا، ومستقرًا، وقد نال السكينة، وجّهته لمعرفة موت الكائنات وإعادة ميلادها. وبالعين الفارقة النقية التي تفوق عيون البشر (هذه قدرةٌ داخليةٌ تفوق قدرة الرؤية العادية، يُطوّرها المتأمل فيرى عوالم الوجود الأخرى وانتقالها من ميلاد لآخر)، رأيت كائناتٍ تموت وكائناتٍ تولد مرةً أخرى، كائناتٍ دنيئةً وأخرى خيرةً، جميلةً وأخرى قبيحةً، مَحْظُوظَةٌ وأخرى سيئة الحظ. وفهمت كيف أنّ الكائنات تنتقل وترتحل بحسب أفعالها هكذا: تلك الكائنات التي أساءت في جسدها وكلامها وذهنها، والتي هزأت بالنبل، وكانت رؤيتها خاطئة، وقامت بأفعالٍ بناءً على الرؤية الخاطئة، بعد أن تحلّل جسمها بعد الموت، أُعيد ميلادها في حالةٍ تعيسة، وفي مكانٍ سيءٍ في العالم السفلي، في الجحيم. أمّا الكائنات التي أحسنت السلوك في جسدها وكلامها وذهنها، والتي لم تهزأ بالنبل، والتي تحمّل الرؤية السليمة وتتصرف بناءً عليها، فبعد تحلّل أجسادها بعد موتها أُعيد ميلادها في مكانٍ جيدٍ، وفي عالمٍ سماويّ. وهكذا، وبالعين الفارقة النقية التي تفوق عيون البشر، رأيت كائناتٍ تموت وكائناتٍ تولد مرةً أخرى، كائناتٍ دنيئةً وأخرى خيرةً جميلةً، وأخرى قبيحةً مَحْظُوظَةٌ وأخرى سيئة الحظ، وفهمت كيف أنّ الكائنات تنتقل وترتحل بحسب أفعالها.

كانت هذه هي المعرفة الحقيقية الثانية التي نلثها بنفسي في وسط المرحلة الثانية من الليل. فتبدّد الجهل ونشأت معرفةٌ حقيقيةٌ، تبدّدت العتمة ونشأ نورٌ، كما يحدث لمن يسكن في المثابرة والحماسة والعزيمة. لكنّ مثل هذا الشعور اللطيف الذي نشأ في داخلي لم يعمر ذهني ولم يستقرّ فيه.

عندما كان ذهني مُركّزًا هكذا، وبقيةً لا تشوبه شائبة، وخاليًا من أي اضطرابٍ، ومرنًا، ومستقرًا، وقد نال السكينة، وجّهته لمعرفة ما يقضي على السموم. وعرفتها مباشرةً كما هي على حقيقتها: هذه هي المعاناة. هذا هو منشأ المعاناة. هذه هي نهاية المعاناة. هذا هو المسار المؤدي إلى نهاية المعاناة. وعرفتها مباشرةً كما هي على حقيقتها: هذه هي السموم. وهذا هو منشأ السموم. وهذه هي نهاية السموم. وهذا هو المسار المؤدي إلى نهاية السموم.

عندما عرفت ورأيت هذا، كان ذهني قد تحرر من سُموم الشهوة الحسبية، ومن سُموم الوجود، ومن سُموم الجهل. وعندما تحرر ذهني، جاءتني المعرفة: لقد تحررت. لقد عرفت ذلك مباشرة: لقد تحطّم الميلاد، وتمت الحياة الروحية، وتم ما كان يجب أن يتم، فلا عودة إلى أي حالة من الوجود.

كانت هذه هي المعرفة الحقيقية الثالثة التي نلتها بنفسني في المرحلة الأخيرة من الليل. فتبدد الجهل ونشأت معرفة حقيقية، تبددت العتمة ونشأ نور، كما يحدث لمن يسكن في المثابرة والحماسة والعزيمة. لكن مثل هذا الشعور اللطيف الذي نشأ في داخلي لم يغمر ذهني، ولم يستقر فيه.

المصدر: (MN 36: *Mahāsaccaka Sutta*, I 240–49)

المدينة القديمة

أيها الرهبان، قبل أن أنال الاستتارة، وبينما كنتُ ما أزالُ بُوديساتفا، لَمَّا أَتَلِ الاستتارة الكاملة، خَطَرَ لي: لِلأسف، لَقَدْ وَقَعَ هذا العالَمُ في مُشكلةٍ، لأنَّه يُولَد، وَيَشِيخ، وَيَموت، وَيَرَحَل، ثُمَّ يُولَد مِن جَدِيد. لكنَّه لا يُدركُ الهُروبَ مِن هذه المُعاناة التي تَقودُها الشَّيخوخةُ والموت. والآن، متى يُمكن إدراك الهُروب مِن هذه المُعاناة التي تَقودُها الشَّيخوخةُ والموت؟

ثمَّ خَطَرَ ببالي أيُّها الرهبانُ: ما الذي يجب أن يكون حتى تَحْدُثِ الشَّيخوخةُ والموت؟ ما هو شَرَطُ الشَّيخوخةِ والموت؟

ثمَّ، أيُّها الرهبان، وَمِن خِلال الانتباه الدَّقِيق، تَجَلَّتْ عِنْدِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا يَكُون هُنَاكَ مِيلادٌ، تَأْتِي الشَّيخوخةُ والموت. فالشَّيخوخةُ والموت شَرَطُهُمَا المِيلادُ.

ثمَّ خَطَرَ ببالي أيُّها الرهبانُ: ما الذي يَجِبُ أن يَكُون مَوْجودًا قَبْلَ أن يَحْدُثِ المِيلادُ؟ الوُجودُ؟ التَّشْبِهُ؟ الشَّعْفُ؟ الشُّعورُ؟ الاتِّصالُ؟ الحَواسُّ السِّتَّةُ؟ الاسمُ والشَّكْلُ؟ وما الذي يَشْتَرِطُ الاسمَ والشَّكْلَ؟

ثمَّ، أيُّها الرهبان، وَمِن خِلال الانتباه الدَّقِيق، تَجَلَّتْ عِنْدِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا يَكُون هُنَاكَ إدراكٌ، يَحْدُثُ الاسمُ والشَّكْلُ. فالاسمُ والشَّكْلُ شَرَطُهُمَا الإدراكُ.

ثمَّ خَطَرَ ببالي أيُّها الرهبانُ: ما الذي يَجِبُ أن يَكُون مَوْجودًا قَبْلَ أن يَحْدُثِ الإدراكُ؟ وما هو شَرَطُ الإدراكِ؟

ثمَّ، أيُّها الرهبان، وَمِن خِلال الانتباه الدَّقِيق، تَجَلَّتْ لِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا يَكُون هُنَاكَ اسمٌ وشكْلٌ، يَحْدُثُ الإدراكُ. فالإدراكُ شَرَطُهُ الاسمُ والشَّكْلُ.

ثمَّ خَطَرَ لِي أيُّها الرهبانُ: هذا الإدراكُ يَتَرَجَعُ. إنَّه لا يَسْتَمِرُّ إلى ما هو أَكْثَرُ مِنَ الاسمِ والشَّكْلِ. إلى هذا الحدِّ يُمكنُ للمرءِ أن يُولَدَ وَيَكْبُرَ وَيَموتَ.. يَموتُ وَيَرَحَلُ ثمَّ يُولَدُ مِن جَدِيد.

أَيَّ عِنْدَمَا يَكُونُ الْإِدْرَاكُ مَعَ الْاسْمِ وَالشَّكْلِ شَرْطًا لَوْجُودِهِ ... وَمَعَ وُجُودِ الْاسْمِ وَالشَّكْلِ كَشَرْطٍ،
هُنَاكَ الْحَوَاسُ السَّبْتُ كَشَرْطٍ... هَذَا هُوَ أَصْلُ كُلِّ هَذِهِ الْمَعَانَاةِ.

"أَصْلُ الْأَشْيَاءِ، أَصْلُ الْأَشْيَاءِ".

وَهَكَذَا، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْيَاءٍ لَمْ يُسَمَّعْ بِهَا مِنْ قَبْلُ، نَشَأَتْ فِي دَاخِلِي رُؤْيَا، وَمَعْرِفَةً،
وَحِكْمَةً، وَبَصِيرَةً، وَنُورًا.

ثُمَّ خَطَرَ بِيَالِي أَيُّهَا الرَّهْبَانُ: مَا الَّذِي يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ هُنَاكَ شَيْخُوخَةً وَمَوْتًا؟ مَا الَّذِي
عِنْدَ زَوَالِهِ تَزُولُ الشَّيْخُوخَةُ وَالْمَوْتُ؟

ثُمَّ، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، وَمِنْ خِلَالِ الْإِنْتِبَاهِ الدَّقِيقِ، تَجَلَّتْ عِنْدِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ
مِيلَادًا، لَا يَكُونُ هُنَاكَ شَيْخُوخَةً وَمَوْتًا. فَمَعَ زَوَالِ الْمِيلَادِ، تَزُولُ الشَّيْخُوخَةُ وَالْمَوْتُ.

ثُمَّ خَطَرَ بِيَالِي: مَا الَّذِي عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِهِ لَا يَكُونُ هُنَاكَ مِيلَادًا؟ وَوُجُودًا؟ تُسَبِّتُ؟ شَعْفًا؟ شُعُورًا؟
اتِّصَالَ؟ الْحَوَاسُ السَّبْتُ؟ الْاسْمُ وَالشَّكْلُ؟ مَا الَّذِي بِزَوَالِهِ يَزُولُ الْاسْمُ وَالشَّكْلُ؟

ثُمَّ، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، مِنْ خِلَالِ الْإِنْتِبَاهِ الدَّقِيقِ، تَجَلَّتْ عِنْدِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ
إِدْرَاكًا، لَا يُوجَدُ اسْمٌ وَشَكْلٌ. فَمَعَ زَوَالِ الْإِدْرَاكِ يَزُولُ الْاسْمُ وَالشَّكْلُ. وَخَطَرَ لِي: مَا الَّذِي عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِهِ
لَا يَكُونُ هُنَاكَ إِدْرَاكًا؟ مَا الَّذِي بِزَوَالِهِ يَزُولُ الْإِدْرَاكُ؟

ثُمَّ، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، وَمِنْ خِلَالِ الْإِنْتِبَاهِ الدَّقِيقِ، تَجَلَّتْ عِنْدِي بَصِيرَةٌ حِكْمَةٌ: عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ اسْمٌ
وَشَكْلٌ، لَا يَكُونُ هُنَاكَ إِدْرَاكًا. أَيُّ بِزَوَالِ الْاسْمِ وَالشَّكْلِ يَزُولُ الْإِدْرَاكُ.

ثُمَّ خَطَرَ بِيَالِي أَيُّهَا الرَّهْبَانُ: "لَقَدْ اِكْتَشَفْتُ هَذَا الْمَسَارَ إِلَى الْإِسْتِنَارَةِ، أَيُّ مَعَ زَوَالِ الْاسْمِ وَالشَّكْلِ
يَزُولُ الْإِدْرَاكُ، وَمَعَ زَوَالِ الْإِدْرَاكِ يَزُولُ الْاسْمُ وَالشَّكْلُ، وَمَعَ زَوَالِ الْاسْمِ وَالشَّكْلِ تَزُولُ الْحَوَاسُ السَّبْتُ، وَمَعَ
زَوَالِ الْحَوَاسِ السَّبْتِ وَانْقِطَاعِ الْإِتِّصَالِ... تَزُولُ كُلُّ مُعَانَاةٍ.

"زَوَالُ الْمَعَانَاةِ، زَوَالُ الْمَعَانَاةِ".

هكذا، أيها الرهبان، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها من قبل، أشرقت في داخلي رؤية، ومعرفة،
وحكمة، وبصيرة، ونور.

لنفترض، أيها الرهبان، أن رجلاً يتجول في الغابة ويرى طريقاً قديمةً، طريقاً قديمةً كان يسلكها
الناس في الماضي. سيتبعها وسيرى مدينةً قديمةً، عاصمةً قديمةً كان يسكنها الناس في الماضي. فيها
حدائق، وبساتين، وبرك، وأسوار، مكان رائع. ثم يخبر الرجل الملك أو الوزير:

- "سيدي، أعلم أنه أثناء تجوالي في الغابة رأيت طريقاً قديمةً، طريقاً قديمةً كان يسلكها الناس في
الماضي. تابعت السير ورأيت مدينةً قديمةً، عاصمةً قديمةً كان يسكنها الناس في الماضي، فيها حدائق،
وبساتين، وبرك، وأسوار، مكان رائع".

- "جدد تلك المدينة، يا سيدي!"

ثم يقوم الملك أو الوزير بتجديد المدينة. وبعد مدة من الزمن تصبح هذه المدينة ناجحةً ومزدهرةً،
ومكنظةً بالسكان، وملينةً بالناس، فتنمو وتتسع.

كذلك أيضاً، أيها الرهبان، رأيت المسار القديم، والطريق القديمة التي سلكها المستنيرون تماماً في
الماضي. ما هو ذلك المسار القديم، وتلك الطريق القديمة؟

هذا هو فقط مسار النبلاء ذو الفروع الثمانية. ذلك هو الرؤية الصحيحة، النية الصحيحة، الكلام
الصحيح، العمل الصحيح، العيش الصحيح، الجهد الصحيح، الذهن الصحيح، التركيز الصحيح.

لقد اتبعت هذه الطريق، ومن خلال ذلك عرفت بشكل مباشر الشيخوخة والموت، ومنشأهما والمسار
المؤدي إلى زوالهما. لقد عرفت مباشرة الولادة... الوجود... التثبث... الاشتياء... الشعور... الاتصال...
الحواس السنت... الاسم والشكل... الإدراك... المكونات الإرادية، أصلها، وزوالها، والطريق المؤدية إلى
زوالها. وبعد أن عرفت مباشرة، شرحت ذلك للرهبان والراهبات، وللناس العاديين من الرجال والنساء، الذين
على المسار.

وهكذا، أصبحت هذه الحياة الروحية، أيها الرهبان، ناجحة ومزدهرة، وامتدت وانتشرت علنا بين

كائنات الدنيا والبشر.

المقتطف الأول من المہافاغا (Mahāvagga)

(المہافاغا Mahāvagga هو الكتاب الرابع من الفنايا بتاكا، وهو مبادئ الرهبنة في نصوص بالي)

ذات مرة، كان المستنير المبارك، وقد نال لتوه استنارته الكاملة، مقيماً في أوروفيللا Uruvelā، على ضفة نهر نرنجرا Nerañjarā، عند سفح شجرة الاستنارة. ثم جلس المبارك مترجاً في (وضع واحد) مدة سبعة أيام، عند سفح شجرة الاستنارة، يعيش حالة نعيم الحرية.

ثم انتبه المبارك في المرحلة الأولى من الليل إلى النشوء السببي بترتيب مباشر وعكسي: الميول الاعتيادية شرطها الجهل، والإدراك شرطه الميول الاعتيادية. ومركب الجسد والنفس شرطه الإدراك، والحواس الست هي شرط الجسد والنفس. والوعي مشروط بالحواس الست، والشعور مشروط بالوعي. والاشتهاء مشروط بالشعور، والتشبث مشروط بالاشتهاء. والوجود مشروط بالتشبث، والميلاد مشروط بالوجود. والشيوخوخة والموت، والجزع والأسى واللوعة، والمعاناة والبؤس واليأس، كلها تنشأ مشروطة بالولادة. هذا هو منشأ كل تلك المعاناة.

لكن، ومن خلال التلاشي المطلق وزوال هذا الجهل، تتلاشى الميول الاعتيادية. وعند زوال الميول الاعتيادية، يزول الإدراك. ومن خلال توقف الإدراك، ينتهي الوجود النفسي الجسدي. ومن تلاشي مركب النفس والجسد، تتوقف الحواس الست. وعند توقف الحواس الست، يتوقف الوعي. ويتوقف الوعي، يتوقف الشعور. ومن التوقف عن الشعور، ينتهي الاشتهاء. ومن توقف الاشتهاء، ينتهي التشبث. ومن توقف التشبث، يتوقف الوجود. ومن توقف الوجود، تتوقف الولادة. ومن توقف الولادة، تزول الشيوخوخة والموت، والجزع والأسى واللوعة، والمعاناة والبؤس واليأس.

هذه هي نهاية كل تلك المعاناة.

ثم، حين فهم المبارك هذا الأمر، قال هذا الكلام المهيب: "حقًا، حين تتجلى الأمور للبراهمن المتأمل، المملوء حماسة، تتلاشى كل شكوكه. فهو يفهم الشيء، وما وراءه من سبب".

ثم وجه المبارك انتباهه، في المرحلة الوسطى من الليل، إلى النشوء السببي بترتيب مباشر وعكسي: الميول الاعتيادية مشروطة بالجهل، والإدراك مشروط بالميول الاعتيادية... هذا هو المنشأ... هذا هو زوال كل تلك المعاناة.

ثم، حين فهم المبارك هذا الأمر، قال هذا الكلام المهيب: "حقًا، حين تتجلى الأمور للبراهمن المتأمل، المملوء حماسة، تتلاشى كل شكوكه؛ فيميز القضاء على الأسباب".

ثم وجه المبارك انتباهه، في المرحلة الأخيرة من الليل، إلى النشوء السببي بترتيب مباشر وعكسي: الميول الاعتيادية مشروطة بالجهل، والإدراك مشروط بالميول الاعتيادية... هذا هو المنشأ... هذا هو زوال كل تلك المعاناة.

ثم، حين فهم المبارك هذا الأمر، قال هذا الكلام المهيب: "حقًا، حين تتجلى الأمور للبراهمن المتأمل، المملوء حماسة، تتلاشى كل شكوكه ويغلب جمع كائنات المارا واقفًا كالشمس تُنير السماء".

عند شجرة بنيان

ثم بعد أن أطلَّ المبارك من ذلك التَّفَكُّر والتَّأمُّل بعدَ سبعةِ أيَّام، اقتربَ من بنيان قُرب شجرة الاستِنارة. ومع اقترابه، جلسَ متربِّعًا في وَضعيةٍ واحدةٍ لمدَّةِ سبعةِ أيَّام عندَ سفحِ بنيان، وهو يعيشُ نعيمَ الحرِّيَّة.

ثم اقتربَ من المبارك واحدٌ من طبقةِ البراهمَن، وهو يُردِّد المانترا "هُم" hum. فلما اقتربَ تبادَلَ التَّحيَّة معَ المبارك، وبعدَ أن تبادَلَ تَحِيَّات الوُدِّ والمُجاملة، وقفَ على مَسافةٍ تُظهر الاحترام.

وبينما كانَ يقف على مَسافةٍ تُظهر الاحترام، تحدَّثَ ذلك البراهمَن إلى المبارك: "متى ، يا غوثما الطَّيِّب، يصير المرءُ براهمَن؟ ومرَّةً أُخرى، ما هي الأشياءُ التي تصنعُ البراهمَن؟".

ثم، حينَ فهمَ المباركُ هذا الأمرَ، قالَ هذا الكلامَ المهيب: "هذا البراهمَنُ هو الَّذي يَمنعُ الأشياءَ الشَّريريَّة، الَّذي لا يَنطقُ صوتَ المانترا "هُم"، دونَ نَقاء، وهو كابحُ نفسه، وقد أجادَ نصوصَ الفيدا. سيِّدُ الفيدا، الَّذي يعيشُ براهمَن مُرتحلًا. هذا هو البراهمَنُ الَّذي يتكلَّمُ عن حقِّ لهُوَ براهمَن، من ليسَ فيه عُيوبٌ في أيِّ مكانٍ في العالم".

عند شجرة مُكلندا (Mucalinda)

ثم بعدَ أن أطلَّ المبارك من ذلك التَّفَكُّر والتَّأمُّل، بعدَ سبعةِ أيَّام، اقتربَ من شجرة مُكلندا، من أسفل شجرة بنيان. ومع اقترابه، جلسَ متربِّعًا في وَضعيةٍ واحدةٍ مدَّةِ سبعةِ أيَّام، عندَ سفحِ مُكلندا، وهو يعيشُ نعيمَ الحرِّيَّة. في ذلك الوقت نشأت عاصفةٌ كبيرةٌ في غيرِ موسمها. واستمرَّ الطَّقسُ المُمطر، والرياحُ الباردة، والسَّماءُ الملبَّدةُ بالغيوم، مدَّةِ سبعةِ أيَّام.

ثم أحاط مُكَلِنْدَا الثُّعْبَانُ الْمَلِكِ، الَّذِي خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ، مُطَوِّقًا جَسَدَ الْمُبَارِكِ سَبْعَ مَرَّاتٍ بِالنِّفَافَاتِهِ، مُغَطِّيًا رَأْسَهُ. وَقَفَ قَائِلًا: "لَا (يُزْعَجَنَّ) الْمُبَارِكُ أَيُّ بَرْدٍ، وَلَا (يُزْعَجَنَّ) الْمُبَارِكُ حَرَارَةً، وَلَا يُزْعَجَنَّ الْمُبَارِكُ لَمَسُ الذُّبَابِ وَالْبَعُوضِ وَالرِّيحِ وَالْحَرَارَةِ أَوْ الْأَشْيَاءِ الرَّاحِفَةِ".

ثم بَعَدَ نِهَايَةَ تِلْكَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ، قَامَ الثُّعْبَانُ الْمَلِكُ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ السَّمَاءَ صَافِيَةً لَا سَحُبَ فِيهَا، وَبَعْدَ أَنْ فَكَّ لِفَانْفَهَ عَنِ جَسَدِ الْمُبَارِكِ، وَتَخَلَّى عَنِ شَكْلِهِ وَاتَّخَذَ شَكْلَ شَابٍّ، وَقَفَ أَمَامَ الْمُبَارِكِ، مُبْجَلًا إِيَّاهُ بِضَمِّ يَدَيْهِ بَعْضَهُمَا إِلَى بَعْضٍ.

ثم، وَحِينَ فَهَمَ الْمُبَارِكُ هَذَا الْأَمْرَ، قَالَ هَذَا الْكَلَامَ الْمَهِيْبَ:

"سَعِيدٌ فِي خَلُوتِهِ مَنْ قَلْبُهُ سَعِيدٌ، وَقَدْ تَعَلَّمَ الدَّارِمَا وَأَبْصَرَ الرُّؤْيَا!

سَعِيدٌ ذَلِكَ اللَّطِيفُ تُجَاهَ الْعَالَمِ وَمَنْ لَا يُوقِعُ الْأَذَى فِيهِ!

سَعِيدٌ بِغِيَابِ كُلِّ شَهْوَةٍ، سَامٍ فَوْقَ الرَّغْبَةِ، مَنْ يَسْحَقُ كَلِمَةَ الْغُرُورِ: (أَنَا الْعَظِيمُ)!

هَذِهِ، حَقًّا هَذِهِ، هِيَ السَّعَادَةُ الْعُلْيَا".

عند شجرة راجاييتنا

ثم، فِي نِهَايَةَ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ، وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْ هَذَا التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ، اقْتَرَبَ الْمُبَارِكُ مِنْ رَاجَايِتِنَا **Rajayatana** مِنْ أَسْفَلِ مُكَلِنْدَا، وَجَلَسَ مُتَرَبِّعًا فِي وَضْعِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مَدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، عِنْدَ سَفْحِ رَاجَايِتِنَا، وَهُوَ يَشْعُرُ بِنَعِيمِ الْحَرِيَّةِ.

فِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَ التَّاجِرَانِ تَابُوسَا وَبَلِيكَا يَسِيرَانِ عَلَى طُورِ الطَّرِيقِ السَّرِيعِ، مِنْ أُكَّالَا **Ukkalā** إِلَى تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ.

بعد ذلك، تحدّث ديفاتا، وهو من أقرباء التّاجرين، إلى تابوسا ويليكا، قائلاً: "يا رُفقائي، هذا المُبارك، الذي قد نال لتوّه الاستِنارة الكاملة، يُقيم على سَفح راجايِتتا. اذهبا واخذما ذلك المُبارك مع عَصيدة الشّعير وكُرات العسل، وسيكون هذا بركة وسعادة لكُما لمُدّة طويلة".

ثمّ اقترب التّاجران تابوسا ويليكا من المُبارك، وبأيديهما عَصيدة الشّعير وكُرات العسل. فلما تقدّما وسلّما على المُبارك وقفا على مسافةٍ تُظهر الاحترام. وبينما كانا يقفان على مسافة تُظهر الاحترام، تحدّث التّاجران تابوسا ويليكا هكذا إلى المُبارك: "أيّها المُبارك، تفضّل عَصيدة الشّعير وكُرات العسل، حتّى نصير في نعمة وسعادة وقتاً طويلاً".

ثمّ خطر للمُبارك: إنّ الباحثين عن الحقيقة لا يقبلون الأشياء بأيديهم. بماذا إذن سأستلم عَصيدة الشّعير وكُرات العسل، الآن؟

ثمّ قام المُلوك العُظماء الأربعة (وهم آلهة تحكّم السماء السُفلية، وليسوا مُلوكة بشريين)، وهم يعلمون بأذهانهم المنطق الذي في ذهن المُبارك، بتقديم أربعة أوعية مصنوعة من بلّور صخريّ من الأرباع الأربعة من الجهات الأربع، للمُبارك، قائلين: "أيّها المُبارك، فلتقبّل منّا عَصيدة الشّعير وكُرات العسل". فتلقّى المُبارك عَصيدة الشّعير وكُرات العسل في وعاء جديد مصنوع من البلّور الصخريّ، وتناولها.

ثمّ بعد أن وجد التّاجران تابوسا ويليكا أنّ المُبارك قد رفع يده عن الوعاء، وبعد أن أمالا رأسيهما نحو قَدَمي المُبارك، تحدّثا هكذا إليه: "أيّها المُبارك، نحن الذين نتخذ المَلجأ في المُبارك والدارما، فليقبّلنا المُبارك كتلاميذ عاديّين، اتّخذوا المَلجأ مدى الحياة منذُ هذا اليوم فصاعداً".

وهكذا أصبح هؤلاء أوّل تلاميذ في العالم يستخدمون عبارة اتّخاذ المَلجأ، (أي اتّخاذ المَلجأ في بُودا

والدارما).

تقديم التعاليم

ثم، بعد أن خرج المبارك من هذا التأمل والتفكير بعد الأيام السبعة، اقترب من بنيان من سفح راجايتنا. وبقي المبارك هناك عند سفح بنيان.

وبينما كان المبارك يتأمل في خلوته نشأ في ذهنه هذا الفكر، فقال: "هذه الدارما التي نلتها عميقة، يصعب رؤيتها وفهمها، سامية وفيها سلام، لا يمكن الوصول إليها بمجرد التفكير، خفية ودقيقة ليختبرها الحكماء. لكن هذه الفئة من الناس تبتهج في التعلق، وتسعد بالارتباط، فمن الصعب على مثل هؤلاء الناس أن يروا هذه الحقيقة، أي الشرطية المحددة، والنشوء الاعتمادي. ومن الصعب أن يروا هذه الحقيقة، وهي زوال السنخارا (sankhāra) السنخارا هي مuiol الكائن. ومكوناته: ذهنية، نفسية، جسدية ... إلخ)، والتنازل عن كل المقتنيات، وتدمير الاشتهاء، والهدوء، والتخلي، والنرفانا. فإن قمت بتعليم الدارما، فلن يفهمني الآخرون، وسيكون ذلك مرهقًا ومزعجًا بالنسبة إليّ".

حينها حضرتني هذه المقاطع الشعرية التي لم أسمع بها من قبل:

"لا مزيد من الحديث عن تعليم الدارما.

صعبة المنال كانت هي، حتى عليّ.

غير ممكن إدراكها،

لمن في الشهوة والكراهية يعيش.

أولئك المصبوغون بالشهوة، الملتحفون بالعممة

لن يدركوا الدارما العميقة أبدًا.

لا تتفق مع التيار الدنيوي.

دقيقة وعميقة، ويصعب إدراكها.

لذلك ما كنتُ أميل إلى فعل شيءٍ غير تعليم الدارما.

إذن، أيُّها الرهبان، عرف البراهما سَهَمبتي Sahampati، بفكره، الفكرة التي في ذهني، فنظر في الأمر قائلاً: "سيضيع العالم، وسيهلك، لأنَّ ذهن الأَرهات Arahat والتَّاتاغاتا Tathāgata، كُلي الاستتارة، يميل إلى التَّفاعُس عن العمل بدلاً من تعليم الدارما".

ثم، وبنفس السرعة التي يمدُّ بها رجلٌ قويُّ ذراعَه المَثنيَّة أو يثني ذراعَه المُمْتدَّة، اخنقى البراهمن في عالم البراهما، وظهر أمامي. رتب رداءه العلوي على كتف واحدة، ومدَّ يديه في تحية إجلال نحوي، وقال: "سيدي الموقر، لنعلم المبارك الدارما، فليعلم المبارك السامي الدارما. هناك كائناتٌ بالقليل من نرات الغبار في عيونها تهلك لأنها لم تسمع الدارما. سيكون هناك من يفهم الدارما".

هكذا تحدت البراهما سَهَمبتي. ثم قال:

"في بلاد ماغادا

تعاليم غير نقيَّة جاء بها غير الأنقياء.

افتحوا الأبواب للأموات! دعوهم يسمعون

الدارما التي جاء بها النقيُّ!

كما أن الذي يقف على قمة الجبل

يرى جميع الناس تحث،

كَذَلِكَ أَيُّهَا الْحَكِيم، يَا مَنْ تَرَى كُلَّ شَيْءٍ،

اصْعَدَ قَصَرَ الدَّارِمَا!

اجْعَلْ مَنْ تَحَرَّرَ مِنَ الْأَسَى يَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ

الَّذِي يَحُوطُهُ الْأَسَى، وَيَغْلِبُهُ الْمِيلَادُ وَالشَّيْخُوخَةُ.

انْهَضْ، أَيُّهَا الْبَطْلُ الْمُنْتَصِرُ، يَا قَائِدُ!

القافلة بلا دَيْن (دَيْن الكارما).

ارتحل في العالم، ودع المبارك يعلم الدارما!

وسيكون هناك من يفهم".

ثم استمعتُ للبراهما متوسلاً، من أجل الرأفة تجاه كلِّ الكائنات. تمعنتُ العالمَ بعينِ مُستتيرٍ.

وأنا أتفحصُ العالمَ بعينِ مُستتيرٍ، رأيتُ كائناتٍ بقليلٍ من الغبار في عُيونها، وأخرى بالكثير من الغبار في عُيونها. بعضها بملاكات حادة وأخرى بليدة، بعضها بخصال حميدة وأخرى بخصال سيئة، بعضها من السهل تعليمها، وأخرى من الصعب تعليمها، وهي تلك التي سكنت إلى رؤية الخوف واللوم في العالم الآخر.

كما أنّ في البركة أزهار لوتس زرقاء أو حمراء أو بيضاء، وبعض أزهار اللوتس نبتت ونما في الماء، ازدهر وهو مغمور تحت الماء من دون أن يظهر على وجه البركة، وبعضها نبتت ونما وامتد على سطح الماء، والبعض الآخر من أزهار اللوتس نبتت ونما وخرج من الماء بساقه من دون أن تبتل.. كذلك أيضاً وأنا أتفحصُ العالمَ بعينِ مُستتيرٍ، وأنا أتفحصُ العالمَ بعينِ مُستتيرٍ، رأيتُ كائناتٍ بقليلٍ من الغبار

في عُيونها، وآخرين بالكثير من العُبار في عُيونها. بَعْضُها بِمَلَكَاتِ حَادَّةٍ وَأُخْرَى بَلِيدَةٍ، بَعْضُها بِخِصَالِ حَمِيدَةٍ وَأُخْرَى بِخِصَالِ سَيِّئَةٍ، وَبَعْضُها مِنَ السَّهْلِ تَعْلِيمُها، وَأُخْرَى مِنَ الصَّعْبِ تَعْلِيمُها، وَهِيَ تِلْكَ الَّتِي سَكَنْتْ إِلَى رُؤْيَةِ الْخَوْفِ وَاللُّومِ فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ.

ثُمَّ أَجَبْتُ الْبِرَاهِمَا سَهْمَتِي بِبَيْتِ الشِّعْرِ الْآتِي:

"مَفْتُوحَةٌ لَهُمْ أَبْوَابُ اللَّامُوتِ،

دَعِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ آذَانٌ يُظْهِرُونَ إِيمَانَهُمْ،

ظَانِّينَ أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ شَأْقًا.

أَيُّهَا الْبِرَاهِمَنَ،

لَمْ أَتَحَدَّثْ عَنِ الدَّارِمَا الْمُحْكَمَةِ وَالْعُلْيَا".

ثُمَّ فَكَّرَ الْبِرَاهِمَا سَهْمَتِي: لَقَدْ قَبِلَ الْمُبَارِكُ طَلْبِي بِأَنْ يُعَلِّمَ الدَّارِمَا. وَبَعْدَ أَنْ قَدَّمَ تَبْجِيلَهُ، جَعَلَنِي إِلَى

يَمِينِهِ وَغَادَرَ بِسُرْعَةٍ.

تَأَمَّلْتُ وَفَكَّرْتُ هَكَذَا: لِمَنْ سَوْفَ أَعَلِّمُ الدَّارِمَا؟ مَنْ سَيَفْهَمُ الدَّارِمَا بِسُرْعَةٍ؟ ثُمَّ خَطَرَ لِي: إِنَّ الْأَرِ

حَكِيمًا، وَذَكِيًّا وَقَادِرًا عَلَى التَّمْيِيزِ، وَلِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعُبارِ. لِنَفْتَرِضَ أَنَّي عَلَّمْتُ

الدَّارِمَا بِدَايَةِ الْأَرِ، فَسَوْفَ يَفْهَمُهَا بِسُرْعَةٍ.

اقْتَرَبْتُ مِنِّي الْإِلَهَةُ وَقَالَتْ: "أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُبْجَلُ، لَقَدْ مَاتَ الْأَرِ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ. ثُمَّ نَشَأْتُ فِي دَاخِلِي

مَعْرِفَةً وَرُؤْيَةً. مَاتَ الْأَرِ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ. وَفَكَّرْتُ: إِنَّ خَسَارَةَ الْأَرِ خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ. فَلَوْ أَنَّهُ سَمِعَ هَذِهِ الدَّارِمَا

لَفْهَمَهَا بِسُرْعَةٍ".

تأملتُ وفكرتُ هكذا: لِمَن سَوفُ أَعَلِّمُ الدَّارِما أَوَّلًا؟ مَن سَيَفْهَمُ الدَّارِما بِسُرْعَةٍ؟ ثمَّ خَطَرَ لِي: إِنَّ أَدْكا رَمَبُتا، حَكِيمٌ وَذَكِيٌّ وَقادِرٌ عَلى التَّمييزِ، وَلِفترةٍ طَويلةٍ لَم يَكُن في عَينِهِ إِلاَّ القَليلُ مِنَ العُبارِ. يَنبغِي أَن أَعَلِّمُ الدَّارِما بِدايَةً أَدْكا رَمَبُتا، فَسَوفُ يَفْهَمُها بِسُرْعَةٍ.

اقتربتُ مِنِّي الإلهةُ وَقالَت: "أَيُّها السَيِّدُ المُجَلَّلُ، لَقَد ماتَ أَدْكا رَمَبُتا البَارِحَةَ". ثمَّ نَشأتُ في داخِلي مَعْرِفةٌ ورُؤيةٌ: أَدْكا رَمَبُتا البَارِحَةَ ماتَ. وَفَكَرْتُ: إِنَّ خَسارَةَ أَدْكا رَمَبُتا لَخَسارَةٌ كَبيرةٌ. فلو أَنَّهُ سَمِعَ هَذه الدَّارِما لَفَهِمَها بِسُرْعَةٍ.

تأملتُ وفكرتُ هكذا: لِمَن سَوفُ أَعَلِّمُ الدَّارِما أَوَّلًا؟ مَن سَيَفْهَمُ الدَّارِما بِسُرْعَةٍ؟ ثمَّ خَطَرَ بِبالِي: الرُّهبانُ الخَمسةُ الَّذينَ اَعْتَنَوا بي، وَأنا مُنغمِسٌ في تَأمُّلي، كانوا مُفِيدينَ لِلغايةِ. لِنَفترضُ أَنني عَلَّمْتُهُم الدَّارِما أَوَّلًا. ثمَّ فَكَرْتُ: أَيْنَ يَعايشُ الرُّهبانُ الخَمسةُ الآنَ؟ وَبالِعينِ الفائِقةِ النَّقِيَّةِ الَّتِي تَفوقُ عَيونَ البَشَرِ، رَأيتُ أَنَّهُم كانوا يَعايشونَ في فاراناسي في حَديقَةِ العِزْلانِ في إِسبِبتا.

إِذنَ، أَيُّها الرُّهبانُ، عَندما مَكثْتُ في أُورُوفِلا كَما سَئَلْتُ، سَرعْتُ في التَّجَوُّلِ عَلى مَراحِلِ إِلى فاراناسي، بَينَ غايا وَبُودي Gayā and the Bodhi. فرَأني أَجيفَكَ أَبْكَ Ajīvaka Upaka عَلى الطَّرِيقِ، فَقالَ: "يا صَدِيقُ، مَلَكائِكَ واضِحَةٌ، وَلَوَنَ بَشَرَتِكَ نَقِيٌّ وَمُشرقٌ. عَلى يَدِ مَن تَعَلَّمْتَ، يا صَدِيقِي؟ مَن هو مُعَلِّمُكَ؟ ما الدَّارِما الَّتِي تُمارِسُها؟".

أَجِبْتُ أَجيفَكَ أَبْكَ في مَقاطعِ شِعْريَّةِ:

"أنا مَن سَما فَوَقَ كُلِّ شَئٍ، وَالعارِفُ بِكُلِّ شَئٍ،

لا تَشوبُهُ شائِبَةٌ بَينَ كُلِّ شَئٍ، وَتَخَلِّي عَن كُلِّ شَئٍ،

مُتَحَرِّرٌ مِنَ الاشْتِهااءِ. بَعدَ أَن عَرَفْتُ كُلَّ هَذا بِنَفْسي،

إلى مَنْ أُشير إليه كمعلِّمي؟

ليس لديّ معلِّمٌ.

ومَنْ مثلي

لا يوجد في أيِّ مكان في العالم،

بكلِّ ما فيه من ديفا؛

لأنَّه ليس لديّ نظير.

لأنَّني الأرهاتُ في العالم.

أنا المعلِّم الأعلى.

أنا وُحدي مُستتيرٌ تمامًا،

الذي انطفأت نيرانه وُحِدت.

سأذهب الآن إلى مدينة كاسي Kāsi

لأدير عجلة الدارما،

في عالم أصبح أعمى.

سأذهب لأدقَّ طُبول اللاموت".

فردُّ أبك: "بناءً على ما تقول، يا صديقي، لا بدُّ أنك المنتصر الكوني".

- "المنتصرون هم مثلي،

من دمروا كل ما يلوئهم.

لقد تغلبت على كل الحالات الشريفة.

لذلك، يا أبك، أنا المنتصر".

حينما قيل هذا، قال أجيئك أبك: "أتمنى أن يكون الأمر كذلك، يا صديقي".

وهز رأسه، وأخذ طريقاً جانبياً وغادر.

بعد ذلك، أيها الرهبان، وأنا أتجول على مراحل، أتيت في النهاية إلى فاراناسي، إلى حديقة الغزلان في إسبينا. واقتربت من الرهبان الخمسة. رأني الرهبان آتياً من بعيد، فاتفقوا فيما بينهم على هذا النحو: أصدقائي، ها قد جاء الزاهد غوتما، الذي يعيش في رفاهية، والذي تخلى عن المثابرة، وعاد إلى الترف. ينبغي ألا نبجله، وألا ننهض له، وألا نستلم صحنه ورداءه. ولكن قد يتم تجهيز مقعد له. وإذا كان يرغب، يمكنه الجلوس.

ومع ذلك، ومع اقترابي، وجد هؤلاء الرهبان أنفسهم غير قادرين على الحفاظ على ما اتفقوا عليه. فجاء أحدهم لمقابلتي، وأخذ الصحن وردائي، وآخر جهز مقعداً، وآخر وضع الماء لقدمي. ومع ذلك، خاطبوني بإسمي وبصفتي (صديقاً).

فقلت لهم: "أيها الرهبان، لا تخاطبوا التتاعنا بالاسم والصديق. هو أرهات، مستنير تماماً. استمعوا أيها الرهبان، لقد نلت اللاموت (The Deathless): هذا المفهوم لا يشبه مفهوم الخلود أو الأبدية، لأن هذه المفاهيم تتضمن بقاء النفس وفرديتها. وهو ما يتعارض مع مفهوم اللاموت البوذي، لأنه يُعبر عن حالة ذهنية عليا، لا علاقة لها باستمرار النفس). سأعلمكم، سأعلمكم الدارما. مارسوا كما أعلمكم، من

خِلال إدراككم ذلك بأنفسكم هُنا، والآن. مِنْ خِلال المَعْرِفة المُبَاشِرة، سَتَدْخُلون قَرِيبًا وَسَكُونون في هذا الهَدَفِ الأَسْمَى لِحِياةِ المَقَدَّسة، الَّتِي مِنْ أَجْلِها يَتَرَكُ النَّاسُ حِياةَ المَنازِلِ وَيَعِيشون حِياةَ الرّهَبَةِ".

عِندما قِيلَ هذا، أَجابني الرّهبانُ الخَمسةُ هَكَذا: "صَدِيقَنا غَوْتَمًا! مِنْ خِلالِ ما قُمتَ بِهِ مِنْ سُلوكِ النَقْشُفِ القاسيِ ومُمارساتِهِ، لَمْ تُحَقِّقْ أَيَّ تَميِّزٍ يَفوقِ البَشَرِ في المَعْرِفةِ والرُّؤيةِ الجَدِيدةِ بالنبلاءِ. ولَمَّا كُنْتَ تَعِيشُ الآنَ في رَفاهيةٍ، بَعْدَ أَنْ تَخَلَّيتَ عَن المُنابَرَةِ وَعُدْتَ إِلى الرَفاهيةِ، فَكَيْفَ يُمكنُكَ تَحقيقَ أَيِّ تَميِّزٍ خارقٍ للبَشَرِ في المَعْرِفةِ والرُّؤيةِ الجَدِيدةِ بالنبلاءِ؟".

عِندما قِيلَ هذا، قُلْتُ لَهُم: "لا يَعيشُ التَّناغُتًا في رَفاهيةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّ عَن مُنابَرَتِهِ، وَلَمْ يَعدْ إِلى التَّرَفِ. التَّناغُتًا مُستَثيرًا تَمَامًا. اسْمَعُوا أَيُّها الرّهبانُ، لَقَدْ نِلْتُ اللّامُوتَ مِنْ الحِياةِ المَنزِلِيَّةِ إِلى حِياةِ الرّهَبَةِ".

لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ سألني الرّهبانُ الخَمسةُ: "يا صَدِيقَنا غَوْتَمًا ... كَيْفَ أَمكنُكَ تَحقيقَ أَيِّ قُدْرَاتِ تَميِّزٍ عَاليَةٍ تَفوقِ البَشَرِ في المَعْرِفةِ والرُّؤيةِ عَلى نَحْوِ يَلِيقٍ بالنبلاءِ؟".

ومرّةً أُخرى قُلْتُ لَهُم: "إِنَّ التَّناغُتًا لا يَعيشُ بِرَفاهيةٍ... مِنْ الحِياةِ المَنزِلِيَّةِ إِلى حِياةِ الرّهَبَةِ". وَلِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ لي الرّهبانُ الخَمسةُ: "يا صَدِيقَنا غَوْتَمًا ... كَيْفَ أَمكنُكَ تَحقيقَ أَيِّ قُدْرَاتِ تَميِّزٍ عَاليَةٍ تَفوقِ البَشَرِ في المَعْرِفةِ والرُّؤيةِ عَلى نَحْوِ يَلِيقٍ بالنبلاءِ؟".

عِندما قِيلَ هذا، سألْتَهُم:

- "أَيُّها الرّهبانُ، هل عَرَفْتُمونِي يَومًا أَتحدَّثُ هَكَذا مِنْ قَبْلِ؟".

- "لا، يا سَيِّدِي الموقَّر".

- "أَيُّها الرّهبانُ، إِنَّ التَّناغُتًا هو أَرهاتٌ، مُستَثيرٌ تَمَامًا. اسْمَعُوا أَيُّها الرّهبانُ! لَقَدْ تَمَّ بُلُوغُ اللّامُوتِ.

سَوفَ أَعَلِّمُكم الدّارِما. إِذا تَدَرَّبْتُم كَما أَعَلِّمُكم، مِنْ خِلالِ إدراككم ذلك بأنفسكم هُنا والآنَ، مِنْ خِلالِ المَعْرِفةِ

المباشرة، فسوف تدخلون قريبًا وتَسْكُنون إلى الهدف الأسمى للحياة المقدّسة، والذي من أجله يخرج السّاعون بحقّ من حياة المنازل ليعيشوا حياة الرهبنة".

لقد تمكّنت من إقناع الرهبان الخمسة. ثمّ كنتُ أعلم أحيانًا راهبين، بينما كان يذهب الثلاثة الآخرون للبحث عن الطّعام. وعاش السّنة منّا على ما كان يجلبه هؤلاء الرهبان الثلاثة من جولة طلب الطّعام. وأحيانًا كنتُ أعلم ثلاثة رهبان، بينما كان يذهب الاثنان الآخران في جولة طلب الطّعام. وعاش السّنة منّا على ما كان يجلبه الرّاهبان الاثنان من جولة طلب الطّعام.

ثمّ علّمتُ الرهبان الخمسة، أنّهم هم أنفسهم عرضةٌ للولادة. وبعد أن فهموا الخطر في ما هو عرضةٌ للولادة، سعوا من أجل الأمان المطلق والأزليّ من القيود، أي الترفانا؛ فنألوا الأمان المطلق والأزليّ من القيود، أي الترفانا.

وعلمتهم أنّهم هم أنفسهم عرضةٌ للشّيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد. وبعد أن فهموا الخطر في ما هو عرضةٌ للشّيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، سعوا في ما ليس عرضةً للشّيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، أي الترفانا؛ فنألوا ما ليس عرضةً للشّيوخوخة والمرض والموت والأسى والفساد، أي الترفانا، فنشأت فيهم المعرفة والرؤية:

"تحرّزنا لا يتزعزع. هذا آخر ميلادٍ لنا، ولا ميلادٍ آخر لنا غيره".

المصدر: (73–167 from MN 26: Ariyapariyesana Sutta; I)

الخطاب الأول

هكذا سمعتُ: في إحدى المرات، كان المبارك مقيمًا في فاراناسي في حديقة الغزلان في إسبانيا. هناك خاطب المبارك الرهبان الخمسة هكذا: "أيها الرهبان، هناك شكلان من السعي المتطرف ينبغي تجنبهما لمن قرّر أن يكون راهبًا. ما هما؟".

هما: السعي وراء السعادة الحسيّة في الملذات الحسيّة، وهي وضيعة، ومبتذلة، وغير مفيدة، وهي طريقة أهل الدنيا. ثمّ هناك السعي وراء إماتة الذات والنقش، وهو مؤلم، وغير مفيد.

يستيقظ التناغتا إذا لم ينحرف نحو أيّ من هذين التطرفين، يستيقظ حينها للرؤية الوسط، مما يؤدي إلى نشوء الرؤية، التي تؤدي إلى المعرفة، وتقود إلى السلام، والمعرفة المباشرة، والاستتارة.. إلى النرفانا.

فما هو أيها الرهبان، هذا الطريق الوسط الذي أظهره التناغتا؟ إنه طريق النبلاء ذو الفروع الثمانية. إنه الرؤية السليمة، والنية السليمة، والكلام السليم، والفعل السليم، والعيش السليم، والجهد السليم، والذهن السليم، والتركيز السليم. هذا، أيها الرهبان، هو الطريق الوسط الذي أظهره التناغتا، والذي تنبثق منه الرؤية التي تلد المعرفة وتؤدي إلى السلام والمعرفة المباشرة، وإلى الاستتارة.. إلى النرفانا.

والآن، أيها الرهبان، هذه هي الحقيقة التي يعرفها النبلاء، حقيقة المعاناة: الولادة معاناة، والشيوخوخة معاناة، والمرض معاناة، والموت معاناة.

وجودنا مع ما لا يسرنا معاناة، والانفصال عما يجلب السرور هو المعاناة.

ومن المعاناة عدم حصول المرء على ما يريد.

باختصار، المكونات الخمسة في الكائنات، والتي هي عرضة للتعلق، هي معاناة.

والآن، أيها الرهبان، هذه هي الحقيقة الثانية التي يعرفها النبلاء، حقيقة أصل المعاناة: إنه هذا
الاشتهاء الذي يؤدي إلى تكرار الوجود في دائرة السمسارا، فترافقنا الشهوة والسعي وراء المسرات هنا وهناك.
ذلك هو الاشتهااء للملذات الحسبية، اشتهااء الوجود. أي الرغبة في الملذات الحسبية، والرغبة في
الوجود، والرغبة في الفناء.

والآن، هذه هي حقيقة زوال المعاناة والتخلص منها، أيها الرهبان: إنها تلاشي وزوال وتوقف
الاشتهاء نفسه، والتخلي عنه، والتحرر منه، وعدم التعلق به.

والآن، أيها الرهبان، هذه هي الحقيقة النبيلة للمسار المؤدي إلى التخلص من المعاناة: إنه مسار
النبلاء ذو الفروع الثمانية. هذه هي الرؤية السليمة... والتركيز السليم.

هذه هي حقيقة المعاناة، إذن، أيها الرهبان: هذه أشياء لم يُسمع بها من قبل. وهكذا، نشأت في
داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

من الضروري فهم الحقيقة النبيلة حول المعاناة بشكل كامل: هذه أشياء لم يُسمع بها من قبل.
وهكذا، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

تمّ الفهم الكامل لهذه الحقيقة النبيلة لأصل المعاناة: هذه أشياء لم يُسمع بها من قبل. وهكذا، أيها
الرهبان، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه هي الحقيقة النبيلة لأصل المعاناة، ومن الضروري التخلي عن أصل المعاناة: هذه أشياء لم
يُسمع بها من قبل. وهكذا، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه هي الحقيقة النبيلة حول التخلي عن أصل المعاناة: وهكذا، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها
من قبل، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه هي الحقيقة النبيلة حول وقف المعاناة وزوالها: وهكذا، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها من قبل، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

من الضروري أن يدرك المرء الحقيقة النبيلة لإيقاف المعاناة: هذه أشياء لم يُسمع بها من قبل. وهكذا أيها الرهبان، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه الحقيقة النبيلة المتمثلة في إيقاف المعاناة قد أدركت: وهكذا، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها من قبل، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه هي الحقيقة النبيلة للمسار المؤدي إلى التخلص من المعاناة: وهكذا، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها من قبل، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

هذه هي الحقيقة النبيلة المتمثلة في تنمية المسار المؤدي إلى التخلص من المعاناة: وهكذا، فيما يتعلق بأشياء لم يُسمع بها من قبل، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

وتمت الحقيقة النبيلة حول تنمية المسار المؤدي إلى التخلص من المعاناة: هذه أشياء لم يُسمع بها من قبل. وهكذا، نشأت في داخلي رؤية، ومعرفة، وحكمة، وبصيرة، ونور.

أيها الرهبان، طالما كانت معرفتي بهذه الحقائق النبيلة الأربعة ورؤيتي لها، كما هي حقًا في مراحلها الثلاث وملاحها الاثني عشر، غير نقيّة تمامًا، لم أدع أنه صار عندي الإدراك الكامل للاستتارة الكاملة، التي لا مثيل لها في هذا العالم بما فيه من ديفا ومارا وبراهما، في هذه الفئة ومن فيها من زاهدين وبراهمن وديفا وبشر.

ولكن، عندما صارت معرفتي بهذه الحقائق الأربع النبيلة ورؤيتي لها، كما هي بالفعل في مراحلها الثالث وملاحها الاثني عشر، نقيّة تاماً، أعلنت أنني نلت الإدراك الكامل للاستتارة الكاملة، التي لا مثيل لها في هذا العالم بما فيه من ديفا ومارا وبراهما، في هذه الفئة ومن فيها من زاهدين وبراهمن وديفا وبشر.

ونشأت في داخلي هذه المعرفة والرؤية:

"ثابت وغير مهزوز ما نلته من تحرر في ذهني.

هذا آخر ميلاد لي، ولا ميلاد آخر لي بعده".

هذا ما قاله المبارك. فابتهج الرهبان الخمسة بما قاله .

وبينما كان يتحدّث، نشأت في كُنْدنا المُجَلُّ رؤية الدارما النقيّة، الخالية من الغبار، التي لا تشوبها

شائبة : "كُلُّ ما يَخْضَع للنُشوء، يَخْضَع للزوال".

وعندما أدار المبارك عجلة الدارما، صاح سگان الأرض من الديفا: في فاراناسي، في حديقة الغزلان

في إسبنتا، عجل الدارما هذا الذي لا مثيل له قد أداره المبارك، ولن يُوقفه أيُّ زاهد، أو براهمن، أو ديفا،

أو مارا، أو برهما، أو أيّ أحد في العالم.

بعد سماع صيحة سگان الأرض من الديفا، صاح سگان عالم الملوك الأربعة العظماء: "في

فاراناسي ... عجل الدارما هذا الذي لا مثيل له قد أداره المبارك... ولا يمكن لأحد في العالم أن يُوقفه.

بعد سماع صيحة ديغا مملكة الملوك الأربعة العظماء، وديفا عوالم التافيتسا Tavatimsa والياما

Yāma وتوسيتا Tusita ... والديفا الذين يستمتعون بالخلق ... والديفا الذين يُسيطرون على ما يخلقه

الآخرون ... صاح الديفا رُفقاء البراهما: "في فاراناسي، في حديقة الغزلان في إسبنتا، عجل الدارما هذا

الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ قَدْ أَدَارَهُ الْمُبَارَكُ، وَلَنْ يُوقِفَهُ أَيُّ زَاهِدٍ، أَوْ بَرَاهِمَنْ، أَوْ دِيْفَا، أَوْ مَارَا، أَوْ بَرَاهِمَا، أَوْ أَيُّ أَحَدٍ فِي الْعَالَمِ".

وهكذا، في تلك اللحظة، في تلك الثانية، انتشرت الصيحة حتى عمّت عالم البراهما، واهتز هذا النظام الكوني الذي يبلغ عشرة آلاف ضعفٍ، وارتجف وارتعد، وظهر في العالم شعاع عظيم يُضاهي ويتجاوز العظمة الإلهية للديفا.

ثم قال المبارك هذا الكلام الملهم: "لقد فهم كُنْدْنَا بالفعل! لقد فهم كُنْدْنَا بالفعل!".

وبهذه الطريقة، اكتسب المؤرر كُنْدْنَا اسمَ Añā Koṇḍañña، أي كُنْدْنَا الذي فهم.

المصدر: (SN 56:11: Dhammacakkappavattana Sutta; V 420–24)

المقتطف الثاني من المهافاغا

بعد ذلك، بعد أن رأى (أننا كُنْذنا) الموقر الدارما، نال الدارما، وعرف الدارما، وتشرب الدارما.

بعد أن تجاوز الشك، وبعد أن وصل دون مساعدة من آخرين إلى الثقة الكاملة بتعاليم المعلم، تحدث هكذا إلى المبارك: "هل يمكنني، أيها المبارك، أن أستمّر في حضرتك؟ هل لي أن أتخذ عهد الرهبنة؟".

قال المبارك: "تعال أيها الراهب، لقد علّمت الدارما خير تعليم. فادخل حياة الرهبنة مثل البراهما من أجل إنهاء المعاناة تمامًا".

وهكذا كان اتّخاذ عهد الرهبنة لهذا الموقر.

ثم حثّ المبارك أولئك الرهبان الباقين، وعلمهم تعاليم الدارما. ثم أثناء حثّهم وتعليمهم تعاليم الدارما، ورؤى الدارما، من دون غبار ولا صدأ، نشأ في الموقر (فابا) والموقر (بديا) أن "كل ما من طبيعته أن ينشأ، من طبيعته أن يزول".

وبعد أن رأى هؤلاء الدارما، ونالوا الدارما، وعرفوا الدارما ... وقد نالوا ذلك دون مساعدة من أحد، بل بالثقة الكاملة بتعاليم المعلم، خاطبوا المبارك قائلين: "ترجو أن نستمرّ في حضرة المبارك، فهل لنا أن نأخذ عهد الرهبنة؟"

قال المبارك: "تعالوا، أيها الرهبان، لقد علّمت الدارما خير تعليم، فادخلوا في حياة القداسة لإنهاء المعاناة". وهكذا اتّخذ الموقرون عهد الرهبنة.

ثم قام المبارك، وهو يأكل الطعام الذي جلبه هؤلاء، وهو يحثّ ويُعلّم الرهبان الباقين، قائلاً: "لتعش المجموعة المكوّنة من ستة أفراد على ما يحضره الرهبان الثلاثة من جولتهم في الحصول على الطعام".

وبينما كان المبارك يحثّهم ويُعلّمهم حديث الدارما، ورؤى الدارما التي بلا غبار أو شوائب، نشأ في مهانام الموقر Mahānāma وفي الموقر أسجي Assaji، أن "كل ما من طبيعته أن ينشأ، من طبيعته أن يزول".

وَبَعْدَ أَنْ رَأَى هَؤُلَاءِ الدَّارِمَاءِ، وَنَالُوا الدَّارِمَاءَ، وَعَرَفُوا الدَّارِمَاءَ ... وَقَدْ نَالُوا ذَلِكَ دُونَ مُسَاعَدَةِ مَنْ أَحَدٌ،
بَلْ بِالثِّقَةِ الْكَامِلَةِ بِتَعَالِيمِ الْمُعَلِّمِ، خَاطَبُوا الْمُبَارِكَ قَائِلِينَ: "تَرْجُو أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي حَضْرَةِ الْمُبَارِكِ، فَهَلْ لَنَا أَنْ
نَأْخُذَ عُهُودَ الرَّهْبَنَةِ؟".

قال المُبارك: "تعالوا، أيها الرهبان، لقد علّمت الدارما خير تعليم، فارتحلوا كما البراهما لإنهاء
المُعاناة". وهكذا اتَّخَذَ الْمُوقَّرُونَ عُهُودَ الرَّهْبَنَةِ.

مِن كِتَاب:

مِن كَلِمَاتِ بُودَا "In the Buddha's Words"

ثَمَّ خَاطَبَ الْمُبَارِكَ الرَّهْبَانَ الْخَمْسَةَ قَائِلًا: "أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، شَكَلَ الشَّيْءَ لَيْسَ هُوَ الذَّاتُ. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الشَّكْلُ هُوَ الذَّاتُ، فَلَنْ يُؤَدِّيَ هَذَا الشَّكْلُ إِلَى الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ، وَسَيَكُونُ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّحْكُمُ فِي الشَّكْلِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: لِيَكُنْ شَكْلِي هَكَذَا، وَلَا يَكُنْ هَكَذَا. وَلَكِنْ، لِأَنَّ الشَّكْلَ لَيْسَ هُوَ ذَاتَ الشَّيْءِ، وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى الْأَلَمِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّحْكُمُ فِيهِ: فَلِيَكُنْ شَكْلِي هَكَذَا، أَوْ لَا يَكُنْ هَكَذَا.

الشُّعُورُ لَيْسَ ذَاتًا ثَابِتَةً، وَالْإِدْرَاكُ لَيْسَ هُوَ النَّفْسُ ... وَالتَّكْوِينَاتُ الْإِرَادِيَّةُ لَيْسَتْ ذَاتًا ثَابِتَةً... وَالْوَعْيُ لَيْسَ ذَاتًا ثَابِتَةً، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْوَعْيُ ذَاتًا ثَابِتَةً، لَنْ يُؤَدِّيَ هَذَا الْوَعْيُ إِلَى الْأَلَمِ، وَسَيَكُونُ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّحْكُمُ فِي الْوَعْيِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: فَلِيَكُنْ وَعْيِي هَكَذَا، أَوْ لَا يَكُنْ هَكَذَا. وَلَكِنْ لِأَنَّ الْوَعْيَ لَيْسَ ذَاتًا ثَابِتَةً، فَإِنَّ الْوَعْيَ يُؤَدِّي إِلَى الْأَلَمِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّحْكُمُ فِيهِ: فَلِيَكُنْ وَعْيِي هَكَذَا، أَوْ لَا يَكُنْ هَكَذَا".

- "مَا رَأَيْكُمْ، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، هَلِ الشَّكْلُ دَائِمٌ أَوْ غَيْرُ دَائِمٍ؟".

- "غَيْرُ دَائِمٍ، أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُوقَّرُ".

- "غَيْرُ الدَّائِمِ، أَهْوُ مُعَانَاةٌ أَمْ سَعَادَةٌ؟".

- "مُعَانَاةٌ، سَيِّدِي الْمُوقَّرُ".

- "هَلِ الْمُوقَّتُ مُعَانَاةٌ، وَقَابِلٌ لِلتَّغْيِيرِ، وَهَلِ مِنَ الْمُنَاسِبِ اعْتِبَارُ مَا هُوَ مُوقَّتٌ عَلَى أَنَّهُ: هَذَا لِي،

هَذَا أَنَا، هَذِهِ هِيَ نَفْسِي؟".

- "لَا، يَا سَيِّدِي الْمُوقَّرُ".

- "هَلِ الشُّعُورُ دَائِمٌ أَوْ غَيْرُ دَائِمٍ؟ ... هَلِ الْإِدْرَاكُ دَائِمٌ أَوْ غَيْرُ دَائِمٍ؟ ... هَلِ الْمُكُونَاتُ الْإِرَادِيَّةُ

دَائِمَةٌ أَوْ غَيْرُ دَائِمَةٍ؟ ... هَلِ الْوَعْيُ دَائِمٌ أَوْ غَيْرُ دَائِمٍ؟".

- "غَيْرُ دَائِمٍ، أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُوقَّرُ".

- "مَا هُوَ غَيْرُ دَائِمٍ، أَهْوُ مُعَانَاةٌ أَمْ سَعَادَةٌ؟".

- "مُعَانَاة، سَيِّدِي الْمُؤَقَّر".

- "هل الْمُؤَقَّتُ مُعَانَاةٌ، وَقَابِلٌ لِلتَّغْيِيرِ، وَهَلْ مِنَ الْمُنَاسِبِ اعْتِبَارُ مَا هُوَ مُؤَقَّتٌ عَلَى أَنَّهُ: هَذَا لِي، هَذَا أَنَا، هَذِهِ هِيَ نَفْسِي؟".

- "لا ، يَا سَيِّدِي الْمُؤَقَّر".

- "لِذَلِكَ، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، إِنَّ أَيَّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ مَهْمَا كَانَ، سَوَاءً أَكَانَ فِي الْمَاضِي أَمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَمْ فِي الْحَاضِرِ، سَوَاءً أَكَانَ دَاخِلِيًّا أَمْ خَارِجِيًّا، فَطَّا أَمْ دَقِيقًا، عَالِيًّا أَمْ مُنْحَطًّا، بَعِيدًا أَمْ قَرِيبًا... يَجِبُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى كُلِّ الْأَشْكَالِ كَمَا هِيَ حَقًّا، بِالْحِكْمَةِ السَّلِيمَةِ. وَبِالتَّالِي: هَذَا لَيْسَ لِي، هَذَا لَيْسَ أَنَا، وَهَذِهِ لَيْسَتْ نَفْسِي.

أَيُّ شَكْلٍ مِنَ الشُّعُورِ مَهْمَا كَانَ... أَيُّ شَكْلٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ مَهْمَا كَانَ... أَيُّ شَكْلٍ مِنَ الْمُكَوِّنَاتِ الْإِرَادِيَّةِ مَهْمَا كَانَتْ... أَيُّ شَكْلٍ مِنَ أَشْكَالِ الْوَعْيِ مَهْمَا كَانَ... سَوَاءً أَكَانَ فِي الْمَاضِي أَمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَمْ فِي الْحَاضِرِ، سَوَاءً أَكَانَ دَاخِلِيًّا أَمْ خَارِجِيًّا، فَطَّا أَمْ دَقِيقًا، عَالِيًّا أَمْ مُنْحَطًّا، بَعِيدًا أَمْ قَرِيبًا... يَجِبُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى كُلِّ الْأَشْكَالِ كَمَا هِيَ حَقًّا، بِالْحِكْمَةِ السَّلِيمَةِ. وَبِالتَّالِي: هَذَا لَيْسَ لِي، هَذَا لَيْسَ أَنَا، وَهَذِهِ لَيْسَتْ نَفْسِي.

حِينَ رُؤْيَةِ الطَّالِبِ النَّبِيلِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، يَصِيرُ الطَّالِبُ النَّبِيلُ الَّذِي تَلَقَّى التَّعَالِيمَ، غَيْرَ مَفْتُونٍ بِالشَّكْلِ، وَغَيْرَ مَفْتُونٍ بِالشُّعُورِ وَالْإِدْرَاكِ، وَغَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِالتَّشْكِيلَاتِ الْإِرَادِيَّةِ، وَغَيْرَ مَفْتُونٍ بِالْوَعْيِ .

وَبَعْدَ أَنْ يَصِيرَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، يُصْبِحُ هَادِنًا. وَمِنْ خِلَالِ الْهُدُوءِ يَتَحَرَّرُ ذِهْنُهُ. فَهُوَ يَفْهَمُ أَنَّ: الْمِيلَادَ انْتَهَى، وَقَدْ اكْتَمَلَتِ الْحَيَاةُ الرُّوحِيَّةُ، وَمَا كَانَ يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ قَدْ تَمَّ، وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ عَوْدَةً إِلَى أَيِّ حَالَةٍ مِنَ الْوُجُودِ". هَذَا مَا قَالَهُ الْمُبَارَكُ. ابْتِهَجَ هَؤُلَاءِ الرَّهْبَانُ بِمَا قَالَهُ الْمُبَارَكُ. وَأَثْنَاءَ هَذَا الْخِطَابِ، تَحَرَّرَتِ عُقُولُ الرَّهْبَانِ الْخَمْسَةِ مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهَا، مِنْ خِلَالِ نَبْذِ التَّعَلُّقِ. وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ هُنَاكَ سِتَّةُ أَرَهَاتٍ فِي الْعَالَمِ.

تَمَّتْ قِصَّةُ الرَّهْبَانِ الْخَمْسَةِ

دُخول ياسا في الرَّهْبنة

في ذلكَ الوَقتِ في بِناريس، كانَ هناك شابٌّ يَنتمي إلى عائلةٍ غَنِيَّة. فهو ابن تاجرٍ كَبير، نشأ مُتَرَفًّا في عِنايةِ والِدِيهِ ولُطفِهِما، يُدعى ياسا. كانَ لَدِيهِ ثَلاثَةُ قُصور، واحدٌ لِلطَّقسِ الباردِ، وثانٍ لِلطَّقسِ الحارِّ، وثالثٌ لِموسمِ الأمطارِ.

لم يُغادر ذلكَ القصرَ، فكانت تَخُدُّمُهُ مَجْموعاتٌ مِنَ النِّسوةِ اللَّاتي يَعْزِفْنَ الموسيقيَ مَدَّةَ أربعةِ أَشهرٍ في القصرِ، في مَوسمِ الأمطارِ.

وبينما كان ياسا، فتى العائلة، يَنعمُ بِأشكالِ المَلذَّاتِ الحِسيَّةِ، ولَدِيهِ مَن يَخدمُهُ، كانَ يَنامُ أَوَّلًا ثمَّ يَنامُ باقي أفرادَ الجَناحِ بَعْدَهُ. وكان مِصباحُ رَيتٍ يُنيرُ طَوالَ اللَّيلِ.

ثمَّ كانَ ياسا أَوَّلَ مَن استيقظَ، فرأى أَنَّ جَميعَ مَن في جَناحِهِ نيامٌ. واحدةٌ نائمةٌ والعُودُ عندَ ذِراعِها، والأخرى والدَّفَّ قَريبٍ مِنَ عُنُقِها، وأخرى مَعَ الطَّبلِ عندَ ذِراعِها. واحدةٌ بِشعرٍ مَنكوشٍ، وواحدةٌ يَسيلُ اللُّعابُ مِنَ فَمِها، وكُلُّهُم يَتمتَمونَ في نَومِهِم. بدأ ذلكَ كالمَقبرَةِ أمامَ عَينِيهِ. بدأ جَلِيًّا فَرَعُهُ مِمَّا رَأى، لَكِنَّ عَقْلَهُ كانَ يَتجاهلُ ذلكَ.

ثمَّ قال ياسا عِبارَةً قويَّةً: يا لَهُ مِنَ مَنظَرٍ مُؤَلِّمٍ! أَيُّ ضيقٍ هذا، حَقًّا؟

ثمَّ اقتربَ ياسا مِنَ مَدخَلِ القصرِ، بَعْدَ أَنْ لَبِسَ نَعْلَهُ الذَّهَبِيَّ، وَفَتَحَ لَهُ البابَ أَشخاصٌ مِنَ غَيرِ البَشَرِ، قائلين: لِتَزلُ جَميعُ العَوائِقِ مِنَ أمامِ ياسا، فتى العائلة، لِتَبْذِه حَياةَ المَنزَلِ، ولِلتَّرحالِ بلا مَأوى. ومع اقْتِرابِ ياسا مِنَ بابِ المَدِينَةِ، فَتَحَ أَشخاصٌ مِنَ غَيرِ البَشَرِ البابَ، قائلين: لِتَزلُ جَميعُ العَوائِقِ مِنَ أمامِ ياسا، لِتَبْذِه حَياةَ المَنزَلِ، ولِلتَّرحالِ. ثمَّ اقتربَ ياسا، مِنَ حَديقَةِ الغِزلانِ في إِسبِنتِنا.

في ذلكَ الوَقتِ، كانَ المُباركُ قد استيقظَ لِيلاً نَحوَ الفَجْرِ، وكانَ يَسيرُ في الهَواءِ الطَّلَقِ صُعودًا وُنُزولًا. ورَأى المُباركُ ياسا، فتى العائلة، قَادمًا مِنَ بَعِيدٍ. وبعَدَ أَنْ رآه، نَزَلَ مِنَ حَيْثُ كانَ يَسيرُ صُعودًا وُنُزولًا، وجلسَ على مَقعَدِهِ المُخَصَّصِ لَهُ.

حِينئِذٍ، قال ياسا، عِندما كانَ قَريبًا، هذا الكَلَامُ المُتَرنِّنُ لِلمُباركِ: "يا لَهُ مِنَ ضيقٍ، يا لَهُ مِنَ أَلَمٍ حَقًّا!". ثمَّ قال المُباركُ هَكَذا لِياسا: "هذا، يا ياسا، لَيسَ ضيقًا. هذا، يا ياسا، لَيسَ أَلَمًا. تَعالَ، اجلسَ، يا ياسا، سَوفَ أُعَلِّمُكَ الدَّارِما".

فَكَرَّ يَاسَا، قَائِلًا: هَذَا لَيْسَ ضَيْقًا، هَذَا لَيْسَ بَلَاءً! فَاقْتَرَبَ مُبْتَهَجًا وَمُتَفَائِلًا مِنَ الْمُبَارِكِ. وَبَعْدَ أَنْ خَلَعَ حِذَاءَهُ الذَّهَبِيَّ، وَاقْتَرَبَ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُبَارِكِ، جَلَسَ عَلَى مَسَافَةٍ تُظَهِّرُ الاحْتِرَامَ.

وَبَيْنَمَا كَانَ جَالِسًا عَلَى مَسَافَةٍ تُظَهِّرُ الاحْتِرَامَ، تَحَدَّثَ الْمُبَارِكُ إِلَى يَاسَا بِتَعَالِيمٍ مُتَقَدِّمَةٍ، أَيْ عَنِ الْعَطَاءِ، وَالْعَادَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالْحَدِيثِ عَنِ الْجَنَّةِ. وَأَوْضَحَ الْمَخَاطِرَ، وَالغُرُورَ، وَفَسَادَ مَلَذَّاتِ الْحَوَاسِّ، وَالْفَائِدَةَ مِنْ نَبْذِهَا.

عِنْدَمَا عَلِمَ الْمُبَارِكُ أَنَّ ذَهْنَ يَاسَا كَانَ جَاهِزًا، وَمَرِنًا، وَخَالِيًا مِنَ الْعَوَائِقِ، وَمُتَفَائِلًا، وَمَسْرُورًا، شَرَحَ لَهُ تَعَالِيمَ الدَّارِمَا الَّتِي اكْتَشَفَهَا الْمُسْتَنِيرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ: الْمُعَانَاةُ ... أَصْلُهَا وَالخَّلَاصُ مِنْهَا وَالْمَسَارُ الْمُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ. وَكَمَا أَنَّ قِطْعَةَ قُمَاشٍ نَظِيفَةً مِنْ دُونِ بُقْعِ سَوْدَاءٍ تَتَشَرَّبُ الصَّبْغَةَ بِسُهولةٍ، تَنَشَأُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، فِي يَاسَا، رُؤْيَا الدَّارِمَا مِنْ دُونِ غُبَارٍ وَدُونِ شَوَائِبَ: إِنَّ كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ. ثُمَّ اقْتَرَبَتْ وَالِدَةُ يَاسَا، وَصَعَدَتْ إِلَى الْقَصْرِ، وَلَمْ تَرَ يَاسَا. فَاتَّجَهَتْ نَحْوَ التَّاجِرِ الْكَبِيرِ، رَبِّ الْمَنْزِلِ، وَقَالَتْ لَهُ: ابْنُكَ يَاسَا غَيْرٌ مَوْجُودٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ التَّاجِرُ الْكَبِيرُ رُسُلًا عَلَى الْخُيُولِ إِلَى الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ، وَاقْتَرَبَ بِنَفْسِهِ مِنْ حَدِيقَةِ الْغَزَلَانِ فِي إِسْبِيتِنَا، وَرَأَى آثَارَ الصَّنَدَلِ الذَّهَبِيِّ، وَتَبِعَهَا.

رَأَى الْمُبَارِكُ التَّاجِرَ الْكَبِيرَ، قَادِمًا مِنْ بَعِيدٍ. وَعِنْدَ رُؤْيَتِهِ، خَطَرَ لِلْمُبَارِكِ: يَنْبَغِي أَنْ أَقُومَ بِعَمَلِ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ، بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِلتَّاجِرِ الْكَبِيرِ الْجَالِسِ هُنَا، أَنْ يَرَى يَاسَا جَالِسًا هُنَا؟ ثُمَّ قَامَ الْمُبَارِكُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ الْخَارِقِ.

ثُمَّ اقْتَرَبَ التَّاجِرُ الْكَبِيرُ مِنَ الْمُبَارِكِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ، كَلَّمَ الْمُبَارِكَ هَكَذَا:

- "هل رأى المبارك ياسا؟"

- "حسنًا، اجلس يا رب المنزل، فربما بجلوسك هنا ترى ياسا جالسًا هنا."

ثُمَّ قَالَ التَّاجِرُ الْكَبِيرُ فِي نَفْسِهِ: هل وأنا جالس هنا، سأرى ياسا جالسًا هنا؟

شَعَرَ بِالِابْتِهَاجِ، وَبَعْدَ أَنْ حَيَّا الْمُبَارِكَ، جَلَسَ عَلَى مَسَافَةٍ تُظَهِّرُ الاحْتِرَامَ. وَبَيْنَمَا كَانَ التَّاجِرُ الْكَبِيرُ جَالِسًا عَلَى مَسَافَةٍ تُظَهِّرُ الاحْتِرَامَ، تَحَدَّثَ الْمُبَارِكُ حَدِيثًا مُتَقَدِّمًا ... أَنَّ كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ.

ثم إنَّ التَّاجِرَ العَظِيمَ، بَعْدَ أَنْ رَأَى الدَّارِمَا، وَنَالَ الدَّارِمَا، وَعَرَفَ الدَّارِمَا، وَتَشَرَّبَ الدَّارِمَا، وَبَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ الشَّكَّ، وَنَبَذَ ضَعْفَ التَّيَقُّنِ لَدَيْهِ، وَبَعْدَ أَنْ حَقَّقَ دُونَ مُسَاعَدَةِ شَخْصٍ آخَرَ التَّيَقَّةَ الكَامِلَةَ فِي تَعَالِيمِ المَعْلَمِ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا دُونَ مُسَاعَدَةِ مَنْ شَخْصٍ آخَرَ مُمْتَلِيَّ تَيَقَّةً، قَالَ لِلْمُبَارِكِ:

"رائعٌ، أَيُّهَا المُبَارِكُ! رائعٌ، أَيُّهَا المُبَارِكُ! تَمَامًا كَمَا يُمَكِّنُ لِلْمَرَّةِ أَنْ يُعَدِّلَ مَا هُوَ مُضْطَرِبٌ، أَوْ يَكشِفَ مَا كَانَ مَخْفِيًّا، أَوْ يُرْشِدَ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ، أَوْ يُضِيءَ مِصْبَاحَ زَيْتٍ فِي الظُّلَامِ، ظَانًّا أَنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ عِيُونَ قَدْ يَزُونَ الأشْكَالَ، كَذَلِكَ شَرَحَ المُبَارِكُ الدَّارِمَا بالعَدِيدِ مِنَ الطَّرِيقِ. أَنَا نَفْسِي أَتَّخِذُ المُبَارِكِ والدَارِمَا والرُّهْبَانَ مَلْجَأً. فَلْيَقْبَلْنِي المُبَارِكُ تَلْمِيذًا مِنْ غَيْرِ الرُّهْبَانِ، مِنْ هَذَا اليَوْمِ فَصَاعِدًا، وَطَوَّلَ الحَيَاةَ".

وهكذا أَصْبَحَ أَوَّلَ تَلْمِيذٍ مِنْ غَيْرِ الرُّهْبَانِ فِي العَالَمِ، يَسْتَعْمِدُ صِغَةً اتَّخَذَ المَلْجَأَ فِي المُبَارِكِ والدَّارِمَا وَمُجْتَمَعِ الرُّهْبَانِ.

ثمَّ، بَيْنَمَا كَانَ والدُ يَاسَا يَتَعَلَّمُ الدَّارِمَا، وَبَيْنَمَا كَانَ يَنْظُرُ فِي مَرِحَلَتِهِ، فِي المَعْرِفَةِ كَمَا تُرَى وَكَمَا عُرِفَتْ، تَحَرَّرَ ذِهْنُهُ مِنَ الأَذَى دُونَ أَيِّ تَعَلُّقٍ. ثُمَّ خَطَرَ لِلْمُبَارِكِ: بَيْنَمَا كَانَ والدُ يَاسَا يَتَعَلَّمُ الدَّارِمَا، بَيْنَمَا كَانَ يَنْظُرُ فِي مَرِحَلَتِهِ فِي المَعْرِفَةِ كَمَا تُرَى وَكَمَا عُرِفَتْ، تَحَرَّرَ ذِهْنُهُ مِنَ الأَذَى دُونَ أَيِّ تَعَلُّقٍ. وَالآنَ يَاسَا، لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَرَجَعَ إِلَى سَالِفِ عَهْدِهِ، لَيْسْتَمْتِعَ بِمِلْدَاتِ الحَوَاسِّ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ سَابِقًا عِنْدَمَا كَانَ يَعْيشُ حَيَاةَ المَنْزَلِ. فَيَتَبَغَى أَنْ أُلْغِيَ مَا قُمْتُ بِهِ مِنْ أَمْرِ خَارِقٍ.

ثمَّ أَبْطَلَ المُبَارِكُ ذَلِكَ الأَمْرَ الخَارِقَ.

ثمَّ رَأَى التَّاجِرُ يَاسَا جَالِسًا. وَحِينَ رُؤِيَتْهُ إِيَّاهُ، تَحَدَّثَتْ إِلَى يَاسَا هَكَذَا: "عَزِيزِي يَاسَا، أُمُّكَ مُمْتَلِيَةٌ حُزْنًا، إِمْنَحْ أُمُّكَ الحَيَاةَ. ثُمَّ نَظَرَ يَاسَا تُجَاهَ المُبَارِكِ.

ثمَّ تَحَدَّثَتْ المُبَارِكُ إِلَى التَّاجِرِ الكَبِيرِ هَكَذَا: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا: لَقَدْ رَأَى يَاسَا الدَّارِمَا وَفَهَمَهَا كَمَا لَدَيْهِ مَعْرِفَةُ المُتَدَرِّبِ وَرُؤْيَا المُتَدَرِّبِ، كَمَا رَأَيْتُهَا أَنْتَ وَفَهَمْتَهَا. وَأَتَّاءَ قِيَامِهِ بِمُرَاجَعَةِ المَرِحَلَةِ كَمَا تَمَّتْ رُؤْيُهَا وَفَهْمُهَا، تَحَرَّرَ ذِهْنُهُ مِنَ الشَّوَابِ بِسَبَبِ عَدَمِ التَعَلُّقِ. فَهَلْ سَيَكُونُ قَادِرًا بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَى الحَيَاةِ المَنْزَلِيَّةِ، عَلَى الاسْتِمْتَاعِ بِالمُتَعِ الحَسِيَّةِ الدُّنْيَا كَمَا فَعَلَ فِي المَاضِي، حِينَما كَانَ شَخْصًا عَادِيًّا؟

لَقَدْ رَأَى يَاسَا الدَّارِمَا بِمَعْرِفَةِ المُتَعَلِّمِ وَبَصِيرَةِ المُتَعَلِّمِ، تَمَامًا مِثْلَكَ. وَبَيْنَمَا كَانَ يُرَاجِعُ المَرِحَلَةَ الَّتِي نَالَهَا مِنَ المَعْرِفَةِ كَمَا تَمَّتْ رُؤْيُهَا، وَكَمَا تَمَّتْ مَعْرِفَتُهَا، تَحَرَّرَ ذِهْنُهُ مِنَ الأَذَى دُونَ مَشَاعِرِ التَعَلُّقِ.

- "والآن، هل يُمكن لياسا، بعد أن عادَ إلى الحياة العاديّة، أن يعود إلى الاستمتاع بمِلذّات الحواسّ، كما فعل سابقًا عندما كان يعيش حياة المنزل؟".
- "لا، أيّها المُبارك!".

لقد رأى ياسا الدارما بمعرفة المُتعلّم وبصيرة المتعلّم، وبنظرة المتعلّم، مثلك. وبينما كان يُراجع مرحلته من المعرفة، كما تَمَّت رؤيتها، وكما تَمَّت معرفتها، تحرّر ذهنه من الأذى ودون مشاعر التعلّق. والآن لا يُمكن لياسا، بعد أن عادَ إلى الحياة العاديّة، أن يعود إلى الاستمتاع بمِلذّات الحواسّ، كما فعل سابقًا عندما كان يعيش حياة المنزل.

أيّها المُبارك، هذا مكسبٌ لياسا، خيرٌ ما نال، إذ إنّ ذهن ياسا، قد تحرّر من الأذى دون تشبُّث. أيّها المُبارك، أرجو أن يوافق المُبارك على تناول الطّعام معي غدًا مع ياسا، كمُرافق لك. فبقي المُبارك صامتًا في إشارة إلى قبوله الدّعوة.

ثمّ إنّ التّاجر الكبير، بعد أن علِم بموافقة المُبارك، قامَ عن كرسيّه، وسلّم على المُبارك وغادر، جاعلاً جانبه الأيمن تُجاهه. ثمّ قال ياسا، بعد فترة وجيزة من مُغادرة التّاجر، مخاطبًا المُبارك: "أيّها المُبارك، هل لي أن أبقى في حضور المُبارك؟ هل يُمكنني أن أتخذ نُذور الرّهبنة؟".

قال المُبارك: "تعال أيّها الرّاهب! الدارما مشروحةٌ خيرَ شرح. عِش حياة الدراهما في ترحاله لإنهاء المُعاناة تمامًا!".

فأصبحت هذه طريقة المُبارك في اتّخاذ النُّذور.

في ذلك الوقت كان هناك سبعةٌ من الأرهات في العالم.

قصة دخول ياسا في الدارما راهباً

ثم جاء المبارك، بعد أن ارتدى ثيابه في الصباح، وحمل صحنه ورداءه، واقترب من منزل التاجر الكبير، مع ياسا المؤقر. ثم جلس على مقعد مخصص له. ثم اقتربت والدته ياسا المؤقر وزوجته السابقة من المبارك. وسلّمتا على المبارك، وجلستا على مسافة تُظهر الاحترام.

تحدّث المبارك حديثاً متقدّماً إلى هؤلاء ... "إنّ كلّ ما من طبيعته أن ينشأ، من طبيعته أن يزول".

وهؤلاء، بعد أن رأوا الدارما، ونالوا الدارما، وعرفوا الدارما، وتشرّبوا الدارما، وبعد أن تجاوزوا الشكّ، وتخلّصوا منه، وبعد أن وصلوا دون مساعدة الآخرين إلى اليقظة الكاملة بتعاليم المعلم، قالوا للمبارك: هذا رائع أيّها المبارك!... نحن أنفسنا، أيّها المبارك، نأخذ الملجأ في المبارك، وفي الدارما ومجتمع الرهبان. فليقلنا المبارك كتلميذات عاديّات غير راهبات! إنّنا نتخذ اللجوء من اليوم فصاعداً، ما دامت الحياة مستمرة.

وهكذا كانت هاتان المرأتان أوّل تلميذات من غير الراهبات في العالم ممّن استخدمن صيغة اتّخاذ

الملجأ.

ثم جلس كلّ من والدته ياسا المؤقر ووالده وزوجته السابقة، بعد أن انتهوا من ضيافة المبارك وياسا المؤقر بأنفسهم بطعام فخم، من شتى الأشكال. وبعد أن انتهى المبارك من وجبته نهض وغادر، بعد أن أبهج وأسعد والدته ياسا المؤقر ووالده وزوجته السابقة بالحديث عن الدارما.

قِصَّةُ الْأَشْخَاصِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ غَيْرِ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا عَهْدَ الْمَلْجَأِ

سَمِعَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْدِقَاءِ يَاسَا الْمُوقِّرِ، وَهُمْ شُبَّانٌ مِنْ أَبْنَاءِ تِجَارِ كِبَارٍ وَتِجَارِ صِغَارٍ فِي بِنَارِيسِ، وَفِيمَالَا، وَسُوبَاهُو، وَبُنَاجِي جَافَامَاتِي: أَنَّ يَاسَا قَصَّ شَعْرَهُ وَلِحِيَّتَهُ مُرْتَدِيًا رِدَاءً أَصْفَرَ، وَانْتَقَلَ إِلَى حَيَاةِ الرَّهْبَنَةِ.

بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا ذَلِكَ، خَطَرَ بِبَالِهِمْ: الْآنَ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ تَعَالِيمًا عَادِيَّةً، وَلَا انضِبَاطًا عَادِيًّا، وَلَا مَلْجَأً عَادِيًّا. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَسَارًا عَادِيًّا، إِذْ قَامَ يَاسَا، بِقَصِّ شَعْرِهِ وَلِحِيَّتِهِ، وَارْتَدَى الرِّدَاءَ الْأَصْفَرَ، وَتَرَكَ حَيَاةَ الْمَنْزَلِ إِلَى حَيَاةِ الرَّهْبَنَةِ.

اقْتَرَبَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ يَاسَا الْمُوقِّرِ، وَحَبِيَّوهُ، وَوَقَفُوا عَلَى مَسَافَةٍ تُظْهِرُ الْاحْتِرَامَ.

ثُمَّ اقْتَرَبَ يَاسَا الْمُوقِّرِ، مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ الْأَرْبَعَةِ، مِنَ الْمُبَارِكِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُبَارِكِ، جَلَسَ عَلَى مَسَافَةٍ تُظْهِرُ الْاحْتِرَامَ. وَبَيْنَمَا كَانَ جَالِسًا، تَكَلَّمَ يَاسَا الْمُوقِّرُ إِلَى الْمُبَارِكِ، قَائِلًا: هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ أَصْدِقَائِي، أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، وَهُمْ شُبَّانٌ مِنْ أَبْنَاءِ تِجَارِ كِبَارٍ وَتِجَارِ صِغَارٍ فِي بِنَارِيسِ وَفِيمَالَا وَسُوبَاهُو وَبُنَاجِي جَافَامَاتِي. هَلْ لِلْمُبَارِكِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ وَيُرْشِدَهُمْ!

تَحَدَّثَ الْمُبَارِكُ حَدِيثًا مُتَقَدِّمًا إِلَى هَؤُلَاءِ ... إِنَّ كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ.

وهؤلاء ، بعد أن رأوا الدارما، ونالوا الدارما، وعرفوا الدارما، وتشرَّبوا الدارما، وبعد أن تجاوزوا الشكَّ، وتخلَّصوا منه، وبعد أن وصلوا دُونَ مُسَاعَدَةِ الْآخِرِينَ إِلَى الثِّقَّةِ الْكَامِلَةِ بِتَعَالِيمِ الْمَعْلَمِ، قَالُوا لِلْمُبَارِكِ: "أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، هَلْ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ الْمَلْجَأَ فِي حُضُورِ الْمُبَارِكِ، وَهَلْ لَنَا أَنْ نَأْخُذَ نُذُورَ الرَّهْبَنَةِ؟

قال المبارك: تعالوا أيُّها الرُّهْبَانُ، عَلِّمْتُ الدَّارِمَا خَيْرَ تَعْلِيمٍ، فَادْخُلُوا الْمَسَارَ لِإِنْهَاءِ الْمُعَانَاةِ تَمَامًا. وَهَكَذَا، اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُوقِرُونَ نُذُورَ الرَّهْبَنَةِ. ثُمَّ عَلَّمَ الْمُبَارِكُ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانَ وَأَرْشَدَهُمْ بِحَدِيثِ الدَّارِمَا. فَتَحَرَّرَتْ عُقُولُهُمْ مِنَ الْأَدَى دُونَ تَعَلُّقٍ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ هُنَاكَ أَحَدَ عَشَرَ أَرْهَاتًا فِي الْعَالَمِ.

قِصَّةُ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا عُهْدَ الْمَلْجَأِ

سَمِعَ خَمْسُونَ مِنْ أَصْدِقَاءِ الْمُوقِّرِ يَاسَا، وَالشَّبَابُ مِنَ الْعَائِلَاتِ الْأُولَى وَأُولَئِكَ مِنَ الْمُقَاتِعَةِ الْمُجَاوِرَةِ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ يَاسَا بَعْدَ أَنْ قَصَّ شَعْرَهُ وَلِحِيَّتَهُ، وَقَدْ ارْتَدَى أَرْدِيَّةً صَفْرَاءَ، انْتَقَلَ إِلَى الرَّهْبَنَةِ. بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا ذَلِكَ، خَطَرَ بِبَالِهِمْ: الْآنَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ تَعَالِيمَ عَادِيَّةً، وَلَا انضِبَاطًا عَادِيًّا، وَلَا مَلْجَأً عَادِيًّا. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا خُرُوجًا عَادِيًّا، إِذْ قَامَ يَاسَا بِقَصِّ شَعْرِهِ وَلِحِيَّتِهِ، وَارْتَدَى الرِّدَاءَ الْأَصْفَرَ، وَتَرَكَ حَيَاةَ الْمَنْزِلِ إِلَى الرَّهْبَنَةِ.

اقْتَرَبَ هَؤُلَاءِ الْخَمْسُونَ مِنْ يَاسَا الْمُوقِّرِ، وَحَيَّوهُ وَوَقَفُوا عَلَى مَسَافَةٍ تُظْهِرُ الْاحْتِرَامَ. ثُمَّ اقْتَرَبَ يَاسَا الْمُوقِّرَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَمْسِينَ مِنَ الْمُبَارِكِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُبَارِكِ، جَلَسَ عَلَى مَسَافَةٍ تُظْهِرُ الْاحْتِرَامَ. وَبَيْنَمَا كَانَ جَالِسًا، تَكَلَّمَ يَاسَا الْمُوقِّرُ إِلَى الْمُبَارِكِ، قَائِلًا: "هَؤُلَاءِ الْخَمْسُونَ مِنْ أَصْدِقَائِي، أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، وَهُمْ شَبَابٌ مِنْ أَبْنَاءِ تُجَّارٍ كِبَارٍ وَتُجَّارِ صِغَارٍ مِنَ الْمُقَاتِعَةِ الْمُجَاوِرَةِ. هَلْ لِلْمُبَارِكِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ وَيُرْشِدَهُمْ!".

تَحَدَّثَ الْمُبَارِكُ حَدِيثًا مُتَقَدِّمًا إِلَى هَؤُلَاءِ ... "إِنَّ كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ". وَهَؤُلَاءِ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا الدَّارِمَا، وَنَالُوا الدَّارِمَا، وَعَرَفُوا الدَّارِمَا، وَتَشَرَّبُوا الدَّارِمَا، وَبَعْدَ أَنْ تَجَاوَزُوا الشُّكَّ، وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلُوا دُونَ مُسَاعَدَةِ الْآخِرِينَ إِلَى الثِّقَّةِ الْكَامِلَةِ بِتَعَالِيمِ الْمَعْلَمِ، قَالُوا لِلْمُبَارِكِ: "أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، هَلْ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ الْمَلْجَأَ بِحُضُورِ الْمُبَارِكِ؟ وَهَلْ لَنَا أَنْ نُقَدِّمَ نُذُورَ الرَّهْبَنَةِ؟".

قَالَ الْمُبَارِكُ: "تَعَالَوْا أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، عَلِّمْتُ الدَّارِمَا خَيْرَ تَعْلِيمٍ، فَتَجَوَّلُوا مِثْلَ الْبِرَاهِمَا الْمُرْتَجِلِ لِإِنْهَاءِ الْمُعَانَاةِ تَمَامًا". وَهَكَذَا، اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُوقِّرُونَ نُذُورَ الرَّهْبَنَةِ. ثُمَّ عَلَّمَ الْمُبَارِكُ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانَ وَأُرْشَدَهُمْ بِحَدِيثِ الدَّارِمَا. فَتَحَرَّرَتْ عُقُولُهُمْ مِنَ الْأَذَى دُونَ تَعَلُّقٍ.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ هُنَاكَ وَاحِدٌ وَسِتُّونَ أَرَهَاتًا فِي الْعَالَمِ.

مَعَ كَائِنَاتِ المَارَا

ثُمَّ خَاطَبَ المَبَارِكُ الرُّهْبَانَ قَائِلًا: "أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، لَقَدْ تَحَرَّرْتُ مِنْ كُلِّ فَخٍّ، سِوَاءٍ مِنْ كَائِنَاتِ الدِّيْفَا أَمْ مِنْ البَشَرِ. وَأَنْتُمْ أَيْضًا، أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، تَحَرَّرْتُمْ مِنْ كُلِّ فَخٍّ مِنْ صُنْعِ الدِّيْفَا وَالبَشَرِ.

فَلنَمِضْ مَعًا فِي جَوْلَةٍ، بِدَافِعِ الرَّأْفَةِ عَلَى العَالَمِ، لِمُبَارَكَةِ الكَثِيرِينَ، وَلِأَجْلِ سَعَادَةِ العَدِيدِينَ ، وَلِأَجْلِ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ وَالسَّعَادَةِ لِكُلِّ مَنْ الدِّيْفَا وَالبَشَرِ.

لَا تَدْعُوا اثْنَيْنِ مِنْكُمْ يَمِضِيَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ. أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، عَلِّمُوا الدَّارِمَا! فَهِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا: فِي أَوَّلِهَا، وَوَسَطِهَا، وَآخِرِهَا. وَاشْرَحُوا جَوْهَرَ هَذَا المَسَارِ وَنُصُوصَهُ، فَهُوَ المَسَارُ الكَامِلُ وَالصَّافِي. وَمَعَ أَنَّ بَعْضَ الكَائِنَاتِ، يَحْبِبُهُ القَلِيلُ مِنَ العُجْبَارِ، تَجِدُهُ فِي انْحِطَاطٍ، لِأَنَّهُ لَا يُصْغِي إِلَى التَّعَالِيمِ. وَلَكِنْ، إِذَا دَرَسَ هَذِهِ التَّعَالِيمِ، صَارَ فِي نَمَاءٍ وَازْدِهَارٍ.

أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى أُورُوفِيلا، حَتَّى أُعَلِّمَ الدَّارِمَا".

ثُمَّ اقْتَرَبَ مَارَا "الشَّرِيرِ" مِنَ المُبَارِكِ، وَخَاطَبَهُ بِهَذِهِ العِبَارَاتِ:

"مُكَبَّلٌ أَنْتَ بِكُلِّ فَخٍّ وَقَيْدٍ،

قُبُودِ الدِّيْفَا وَالبَشَرِ.

تَحْتَ وَطْأَةِ القُبُودِ أَنْتَ،

فِي عِزْلَتِكَ، مَنِّي لِامْفَرِّ."

[يُودَا]: "مُنْعَتِقٌ مِنْ كُلِّ فَخٍّ وَقَيْدٍ

مِنْ قُبُودِ الدِّيْفَا وَالبَشَرِ.

مِنْ القَيْدِ العَظِيمِ أَنَا حُرٌّ،

دَلِيلٌ أَنْتَ، يَا صَانِعَ النِّهَائِيَّةِ".

[مَارَا]: "تَرْتَرُهُ ذِهْنَكَ

فَخٌّ.

تَنْسِجُ حِسَابَاتِهَا هَبَاءً،

وَبِهَا أُقَيِّدُكَ.

فِي عَزْلَتِكَ،

مَنِّي لَأَمَقَّرَ."

[يُودَا]: "مَا يَجْلِبُ لِلذَّهْنِ الْمَسْرَّةَ

مِمَّا يُرَى أَوْ يُسْمَعُ أَوْ يُشَمُّ أَوْ يُحَسَّ،

وَكُلَّ الْأَمَانِي وَالرَّغَبَاتِ لَدَيَّ تَلَاثَتْ

أَنْتَ أَيُّهَا الذَّلِيلُ، يَا صَانِعَ النَّهَائِيَّةِ".

ثُمَّ فَكَّرَ الْمَارَا، الشَّرِيرُ: إِنَّ الْمُبَارَكَ يَعْرِفْنِي، إِنَّ مَنْ أَجَادَ حَيَاةَ الْقَدَاسَةِ يَعْرِفْنِي. وَفِي أَلْمِ وَضِيَاعِ،

اخْتَفَى فِي الْحَالِ.

تَمَّتْ قِصَّةُ الْمَارَا

الدُّخُولُ فِي الْمَسَارِ وَاتِّخَاذُ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ

جَلَبَ الرَّهْبَانُ إِلَى الْمُبَارِكِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوْلَئِكَ الرَّاعِبِينَ فِي الدُّخُولِ فِي الْمَسَارِ، وَالرَّاعِبِينَ فِي اتِّخَاذِ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ، مِنْ مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ وَكَافَّةِ الْأَصْقَاعِ. وَلِذَلِكَ كَانُوا مُتَعَبِينَ.

فَطَرَأَ فِي ذِهْنِ الْمُبَارِكِ خَاطِرٌ، بَيْنَمَا كَانَ يَتَأَمَّلُ فِي عَزَلَتِهِ: حَالِيًّا يَأْتِي الرَّهْبَانُ إِلَيَّ مِنْ مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ بِأَوْلَئِكَ الرَّاعِبِينَ فِي اتِّخَاذِ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ، وَهُمْ مُتَعَبُونَ. فَيَنْبَغِي أَنْ آدُنَ لَهُمْ وَأَقُولَ: "أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، يُمَكِّنْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْعُهُودَ بِأَنْفُسِكُمْ الْآنَ، وَيُمَكِّنْكُمْ الْحُصُولَ عَلَى الْعُهُودِ أَيْنَمَا حَلَلْتُمْ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ".

بَعْدَ ذَلِكَ، خَرَجَ الْمُبَارِكُ مِنْ عَزَلَتِهِ مَسَاءً. وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ، وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى خِطَابًا مُتَسَلِّسًا، تَوَجَّهَ إِلَى الرَّهْبَانِ قَائِلًا: "بَيْنَمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ فِي عَزَلَتِي، خَطَرْتُ فِي ذِهْنِي فِكْرَةً: حَالِيًّا يَأْتِي الرَّهْبَانُ إِلَيَّ مِنْ مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ بِأَوْلَئِكَ الرَّاعِبِينَ فِي اتِّخَاذِ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ، وَهُمْ مُتَعَبُونَ. فَيَنْبَغِي أَنْ آدُنَ لَهُمْ وَأَقُولَ: "أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، يُمَكِّنْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْعُهُودَ بِأَنْفُسِكُمْ الْآنَ، وَيُمَكِّنْكُمْ الْحُصُولَ عَلَى الْعُهُودِ أَيْنَمَا حَلَلْتُمْ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ".

لِذَلِكَ، آدُنُ لَكُمْ أَيُّهَا الرَّهْبَانُ بِالْدُّخُولِ فِي الْمَسَارِ، وَيُمَكِّنْكُمْ اتِّخَاذَ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، يَنْبَغِي الْقِيَامُ بِمَا يَلِي: فِي الْبِدَايَةِ، عَلَى الشَّخْصِ حَلْقُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَالذَّقْنِ، وَلُبْسُ الرِّدَاءِ الْأَصْفَرِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى وَضْعِ رِدَاءٍ أَعْلَى الْكَتِفِ. وَعَلَيْهِ الْإِنْجِنَاءُ عِنْدَ أَقْدَامِ الرَّهْبَانِ احْتِرَامًا لَهُمْ. ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَضُمُّ يَدَيْهِ أَمَامَ صَدْرِهِ فِي هَيْئَةِ التَّحِيَّةِ. ثُمَّ عَلَيْهِ تَرْيِدُ الْآتِي: (أَلْجَأُ إِلَى الْمَعْلَمِ الْمُسْتَتِيرِ، أَلْجَأُ إِلَى تَعَالِيمِ الدَّارِمَا، أَلْجَأُ إِلَى مُجْتَمَعِ الرَّهْبَانِ)".

ثُمَّ يُكْرَرُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَالثَّالِثَةِ: "آدُنَ لَكُمْ أَيُّهَا الرَّهْبَانُ بِالْدُّخُولِ فِي الْمَسَارِ وَاتِّخَاذِ الْعُهُودِ، مِنْ خِلَالِ هَذَا الْإِلْتِجَاءِ بِذِكْرِ الْعِبَارَاتِ الثَّلَاثِ".

ثُمَّ الْحَدِيثُ حَوْلَ عُهُودِ الرَّهْبَانَةِ وَعِبَارَةِ الْإِلْتِجَاءِ.

المواجهة الثانية مع المارا

ثم خاطب المبارك الرهبان قائلاً: "أيها الرهبان، تمكنت، من خلال الانتباه السليم والجهد السليم، من نيل الحرية المطلقة وإدراكها. كذلك أنتم أيها الرهبان، يمكنكم من خلال الانتباه السليم والجهد السليم نيل الحرية المطلقة وإدراكها".

بعد ذلك اقترب المارا الشريير من المبارك، وخاطبه بهذه العبارات:

"مكبل أنت بكل فخ وقيد من المارا،

فيود الديفا والبشر.

تحت وطأة الفيود أنت،

في عزلتك، مني لا مفر".

[ورد بؤذا]:

"منعتق من كل فخ للمارا،

سواء من الديفا أم البشر.

أنا حر من القيد العظيم.

دليل أنت، يا صانع النهاية".

ثم فكر المارا الشريير: إن المبارك يعرفني، إن من أجاد حياة القداسة يعرفني.

وبالم وعذاب، اختفى في الحال.

قِصَّةُ المَجْمُوعَةِ الرَّائِعَةِ

وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ المُبَارِكُ فِي بِنَارِيسَ لِمَدَّةٍ كَافِيَةٍ، انطَلَقَ فِي جَوْلَةٍ إِلَى أُورُوفِيَا. ثُمَّ ابْتَعَدَ المُبَارِكُ عَنِ الطَّرِيقِ وَاقْتَرَبَ مِنَ الأَحْرَاشِ. وَبَعْدَ أَنْ اقْتَرَبَ، وَهُوَ يَتَوَعَّلُ فِي تِلْكَ الأَحْرَاشِ، جَلَسَ عِنْدَ جِذْعِ شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ. فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ، كَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ ثَلَاثِينَ شَخْصًا مِنَ الأَصْدِقَاءِ ذَوِي المَكَانَةِ العَالِيَةِ، وَهُمْ يَسْتَمْتَعُونَ مَعَ زَوَجَاتِهِمْ فِي المَكَانِ نَفْسِهِ. إِلَّا أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ زَوْجَةٌ، فَأَحْضَرُوا لَهُ امْرَأَةً أَقْلَ مَكَانَةٍ. وَبَيْنَمَا كَانُوا غَارِقِينَ فِي التَّسْلِيَةِ بِلا مُبَالَاهِ، قَامَتِ تِلْكَ المَرَأَةُ بِسَرِقَةِ مُمْتَلِكَاتِهِمْ، ثُمَّ هَرَبَتْ. فَسَارَعَ هَؤُلَاءِ الأَصْدِقَاءُ بِمُسَاعَدَةِ صَدِيقِهِمْ إِلَى البَحْثِ عَنِ تِلْكَ المَرَأَةِ. وَبَيْنَمَا كَانُوا يَبْحَثُونَ فِي الأَحْرَاشِ، شَاهَدُوا المُبَارِكَ جَالِسًا عَلَى جِذْعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، فَاقْتَرَبُوا مِنَ المُبَارِكِ وَبَادَرُوهُ الحَدِيثَ قَائِلِينَ: "أَيُّهَا المُبَارِكُ، هَلْ شَاهَدْتَ آيَّةَ امْرَأَةٍ؟".

فَرَدَّ عَلَيْهِمُ: "لَكُنْ، مَا الَّذِي تُرِيدُونَهُ مِنَ المَرَأَةِ، أَيُّهَا الرِّجَالُ؟".

- "أَيُّهَا المُبَارِكُ، إِنَّا مَجْمُوعَةٌ مِنْ ثَلَاثِينَ شَخْصًا مِنَ الأَصْدِقَاءِ ذَوِي المَكَانَةِ العَالِيَةِ، قَدِمْنَا مَعَ زَوَجَاتِنَا إِلَى الغَابَةِ لِنُرْفَهُ عَن أَنْفُسِنَا. إِلَّا أَنَّ أَحَدَنَا لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ، فَأَحْضَرْنَا لَهُ امْرَأَةً ذَاتَ مَكَانَةٍ أَقْلَ. وَبَيْنَمَا كُنَّا نُمَتِّعُ أَنْفُسَنَا، أَيُّهَا المُبَارِكُ، قَامَتِ تِلْكَ المَرَأَةُ، وَضِيعَةُ المَكَانَةِ، بِسَرِقَةِ مُمْتَلِكَاتِنَا وَالهَرَبِ. لِذَا، فَإِنَّا أَيُّهَا المُبَارِكُ نُسَاعِدُ صَدِيقِنَا فِي البَحْثِ عَنِ تِلْكَ المَرَأَةِ بَيْنَ أَحْرَاشِ البُسْتَانِ".

فَرَدَّ عَلَيْهِمُ المُبَارِكُ: "مَا رَأَيْكُمْ فِي مَا سَأَقُولُ أَيُّهَا الرِّجَالُ؟ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُمْ، أَنْ تَبْحَثُوا عَنِ تِلْكَ المَرَأَةِ أَمْ أَنْ تَبْحَثُوا عَن أَنْفُسِكُمْ؟".

فَأَجَابُوهُ: "فِي الحَقِيقَةِ، أَيُّهَا المُبَارِكُ، مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَبْحَثَ عَن أَنْفُسِنَا".

ثُمَّ قَالَ: "إِذْنًا، اجْلِسُوا، أَيُّهَا الشَّبَابُ، فَسَوْفَ أُعَلِّمُكُمُ الدَّارِمَا".

- "أَجَلٌ، أَيُّهَا المُبَارِكُ".

ثُمَّ جَلَسَتْ هَذِهِ المَجْمُوعَةُ مِنَ الأَصْدِقَاءِ ذَوِي المَكَانَةِ العَالِيَةِ عَلَى مَسَافَةٍ مِنَ المُبَارِكِ، تُظْهِرُ الاحْتِرَامَ. وَتَابَعَ المُبَارِكُ حَدِيثَهُ: "كُلُّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَتَوَقَّفَ وَيَزُولَ". وَهَؤُلَاءِ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا الدَّارِمَا، وَنَالُوا الدَّارِمَا، وَعَرَفُوا الدَّارِمَا، وَتَشَرَّبُوا الدَّارِمَا، خَاطَبُوا المُبَارِكَ بِقَوْلِهِمْ: "هَلْ لَنَا أَيُّهَا المُبَارِكُ أَنْ نَسْتَمِرَّ مَعَكَ؟ هَلْ لَنَا أَنْ نَتَلَقَّى عُهُودَ الرِّهْنَةِ؟".

فَدَعَاهُمْ قَائِلًا: "تَعَالَوْا أَيُّهَا الرُّهْبَانُ. لَقَدْ عَلَّمْتُ الدَّارِمَا حَيْرَ تَعْلِيمٍ. فَادْخُلُوا الحَيَاةَ المُقَدَّسَةَ لِإنْهَاءِ

المُعَانَاةِ بِشَكْلِ تَامٍ".

تَمَّت قِصَّة مَجْمُوعَةِ الْأَصْدِقَاءِ ذَوِي الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ.

المُعجزات في أُورُوفِيا

ثم تابع المُبارك جَوْلته، فوصلَ إلى أُورُوفِيا. وفي الوَقت الذي وصلَ فيه، كانَ هناك ثلاثة نُسَّاك، شَعْرُهُم طويل مُتلبِّد: أَحدهم من أُورُوفِيا، والثَّاني من مِنطَقة النُّهر، والثَّالث من غايا. وكانَ الثلاثة يُقيمون في أُورُوفِيا. كانَ ناسِكُ أُورُوفِيا القائِدَ الأعلى والمُرشدَ لخمِسمئةٍ من النُّسَّاك، وكانَ ناسِكُ مِنطَقة النُّهر قائِداً ورئِيساً لثلاثمئةٍ من النُّسَّاك. أمَّا ناسِكُ غايا فقد كانَ قائِداً ورئِيساً لمِئتينٍ من النُّسَّاك.

اقتربَ المُبارك من ناسِكِ أُورُوفِيا في حَلوته، ثمَ تَحَدَّثَ إليه قائِلاً: "دعني أَيُّها النَّاسِكُ أمكُثُ ليلَةً واحدةً في عُرفة النَّار، إن لم يُزعجك ذلك".

- "إنَّ ذلك لا يُزعجني أَيُّها المُعترِلُ العَظيم. إلَّا أنَّ هناك نُعباناً ساماً جدًّا في العُرفة، وهو الثُّعبانُ المَلِك، شَرِسٌ ويَتمتعُ بِقُوَى خارقةٍ؛ فلا تَدعُه يُؤذِيك".

وللمرةِ الثَّانيةِ قال المُباركُ لِناسِكِ أُورُوفِيا: "إن لم يُزعجك ذلك..."

وللمرةِ الثَّالثةِ قال المُباركُ لِناسِكِ أُورُوفِيا: "دعني أَيُّها النَّاسِكُ أمكُثُ ليلَةً واحدةً في عُرفة النَّار،

إن لم يُزعجك ذلك..."

- "إنَّ ذلك لا يُزعجني، أَيُّها المُعترِلُ العَظيم. إلَّا أنَّ هناك نُعباناً ساماً جدًّا في العُرفة، وهو الثُّعبانُ

المَلِك، شَرِسٌ ويَتمتعُ بِقُوَى خارقةٍ؛ فلا تَدعُه يُؤذِيك".

- "لا أعتقدُ أنَّ بإمكانه إيذائي، أرجو مِنكَ أَيُّها النَّاسِكُ السَّمَّاحُ لي بالبقاء في عُرفة النَّار".

- "أمكُثُ أَيُّها المُعترِلُ، كما تَشاء".

ثمَ دخلَ المُباركُ العُرفة، وجلسَ على العُشبِ مُترَجِّعِ السَّاقين، وبِظَهْرٍ مُستقيم، مُركِّزاً انتباهه، حاضِرَ

الدَّهن، يَقِظاً.

وبعدَ أن شاهدَ الثُّعبانُ المُباركُ يَدخلُ، نَفَثَ الدُّخانَ وهو يَتَأَلَّمُ وَيَتَرَجِّحُ. ثمَ تَساءلَ المُباركُ: ماذا لو

أنتني، ودونَ إتلافِ جِلدِ الثُّعبانِ ولَحْمه وأرْبِطته وعِظامه ونُخاعِ العِظام، تَحَكَّمْتُ في حَرارته حتَّى لا يُؤذِيني؟

ثمَ نَفَثَ المُباركُ الدُّخانَ بعدَ أن قامَ بِعَمَلِ خارق، فاشتعلتِ النَّارُ في الثُّعبانِ الذي لم يُسيطرَ على

عَضْبِه. وبعدَ أن انتشرتِ النَّيرانُ، اشتعلَ المُباركُ أَيضاً. وحينَ اشتعلتِ النَّيرانُ في كليهما، أَصَبَحَتِ عُرفةُ

النَّارِ مُشتعلةً حارقةً يملؤها اللُّهبُ. ثمَ أحاطَ النُّسَّاكُ بِعُرفةِ النَّارِ، وقالوا: جَميلٌ حقًّا هذا المُعترِلُ العَظيمُ،

لكنَّ الثُّعبانَ سيؤذِيه.

في نهاية الليلة قام المبارك - ودون إتلاف جلد الثعبان ولحمه وأربطته وعظامه - بالتحكم التام بحرارة الثعبان من خلال حرارته. ثم وضعه في وعائه، وقدمه للناسك قائلاً: "هذا هو ثعبانك أيها الناسك، وقد تحكمت بحرارته تمامًا من خلال حرارتي".

ثم خطر لناسك أوروفيليا: إن لهذا المعتزل العظيم قوى خارقة حقًا، وهو ذو سلطان عظيم، إذ أمكنه التحكم الكامل بحرارة الثعبان الملك الشرس، ذي القوى الخارقة، على الرغم من أنه سام جدًا. لكنّه، مع ذلك، ليس أرهاتًا مثلي.

بالقرب من نيزنجارا، تحدّث المبارك إلى ناسك أوروفيليا قائلاً: "دعني أيها الناسك أمكث اليوم فقط في قاعة النار إن لم يُزعجك ذلك".

فأجابته الناسك: "لا يُزعجني ذلك أيها المعتزل العظيم، لكنني قلق بشأن راحتك. فعليك الحذر بسبب وجود ثعبان سام جدًا في الغرفة. وهو الثعبان الملك، شرس ويتمتع بقوى خارقة. فلا تدعه يؤذيك!".

- "من غير المرجح أن يتمكن من أذيتي. لذا، أرجو منك أيها الناسك السماح لي بالبقاء اليوم في غرفة النار".

- "إن الغرفة لك".

وبذلك دخل الشجاع متخطيًا المخاوف.

وحين شاهد ملك الثعابين المبارك يدخل، نفث الدخان وهو يتألم. أما سيد البشر فكان مبتهجًا، وأطلق الدخان أيضًا من غير انزعاج. إلا أن ملك الثعابين الذي لم يتمكن من قهر غضبه، أطلق النيران الحارقة. ثم أشعل النار أيضًا ملك البشر الذي اتقن التكيف مع الحرارة ببراعة. وعندما اشتعلت النيران في كليهما، نظر الناسك إلى غرفة النار، وقالوا: "إن هذا المعتزل العظيم جميل حقًا، لكن الثعبان سوف يؤذيه".

في نهاية تلك الليلة، انطفأت نيران الثعبان، ولكن نيران فواه الخارقة، متعددة الألوان، بقيت.. في حين صارت الألوان المتعددة: الأخضر الداكن، والأحمر، والقرمزي، والأصفر، واللون الكريستالي، كلها على جسد المبارك.

وبعد أن وضع المبارك ملك الثعابين في وعائه، وعرضه على الناسك، قال: "هذا هو ثعبانك أيها الناسك، ولقد تم التحكم التام في حرارته من خلال حرارتي".

ثم خاطب ناسك أوروفيليا المبارك بعد أن آمن بفواه الخارقة: "أمكث هنا أيها المعتزل العظيم، بإمكانني تقديم الطعام لك بشكل دائم".

الأعجوبة الأولى

بعد ذلك، مكثَ المُبارك في بُستان الغابة قُرب صومعة ناسك أوروفيلًا، ثمّ قام المُلوك الأربعة العُظماء بإنارة البُستان بأكمله في ليلة مَجيدة بلونٍ بهيٍّ، واقتربوا من المُبارك، وقَدّموا له التَّحيّة، وجلسوا في الجِهاث الأربَع كما لو كانوا نيرانًا عَظيمة.

في نهاية تلك اللّيلة اقترب ناسك أوروفيلًا من المُبارك، وبأدْرهُ قائلاً: "حانَ وقتُ الطَّعام، أيُّها المعتزِل العَظيم، فإنَّ الوجبة جاهزة. لكن، مَنْ أولئك الذين أناروا بُستان الغابة بأكمله في هذه اللّيلة المَجيدة بلونٍ بهيٍّ، واقتربوا منك وقَدّموا التَّحيّة، ثمّ جلسوا في الجِهاث الأربَع كما لو كانوا نيرانًا عَظيمة؟".
- "إنَّهم أيُّها الناسك المُلوك الأربعة العُظماء، الذين قَدِموا بهَدَف الاستِمَاع لتعاليم الدَّارما".
ثمّ خطرَ في بالِ ناسك أوروفيلًا: حَقًّا، إنَّ لهذا المعتزِل العَظيم قُوَى خارقةً وقد قَدِمَ إليه المُلوك الأربعة العُظماء بهَدَف الاستِمَاع إلى تعاليم الدَّارما، لكنَّه مع ذلك ليس أرهاتًا مثلي.
وبقي المُبارك في بُستان الغابة ذاته بعد أن تناول الطَّعام الذي قَدّمه له ناسك أوروفيلًا.

الأعجوبة الثانية

ثمّ اقترب ناسك أوروفيلًا من بُودا السَّكا Sakka، وهو المُبارك من كائنات الدِّيفا، الذي قام بإنارة بُستان الغابة بأكمله في تلك اللّيلة المَجيدة بلونٍ بهيٍّ، وقَدّم له التَّحيّة، وجلسَ باحترام على مَسافةٍ منه كما لو كان نارًا عَظيمة أكثر روعةً وعَظمةً من الألوان السَّابقة.

في نهاية تلك اللّيلة، اقترب ناسك أوروفيلًا من المُبارك، وتحدّث إليه قائلاً: "حانَ الوقتُ أيُّها المعتزِل العَظيم، فإنَّ الوجبة جاهزة. ولكن، مَنْ الذي أنار بُستان الغابة بأكمله في هذه اللّيلة المَجيدة بلونٍ بهيٍّ، واقترب منك وقَدّم التَّحيّة، ثمّ جلسَ في الجِهاث الأربَع كما لو كان نارًا عَظيمة؟".

- "إنَّه السَّكا، أيُّها النَّاسك، وهو المُبارك من الدِّيفا، وقد قَدِم بهَدَف الاستِمَاع إلى تعاليم الدَّارما".
ثمّ خطرَ في بالِ ناسك أوروفيلًا: حَقًّا، إنَّ لهذا المعتزِل العَظيم قُوَى خارقةً، وقد قَدِمَ إليه السَّكا، وهو المُبارك من الدِّيفا، بهَدَف الاستِمَاع إلى تعاليم الدَّارما، إلّا أنّه مع ذلك ليس أرهاتًا مثلي.
وبقي المُبارك في بُستان الغابة ذاته بعد أن تناول الطَّعام الذي قَدّمه له ناسك أوروفيلًا.

الأعجوبة الثالثة

ثم اقترب البراهما ساهمبتي، الذي قام بإنارة بُستان الغابة بأكمله في تلك الليلة المجيدة بلون بهي، من المبارك وقدم له التحيّة، وجلس باحترام على مسافة منه، كما لو كان نارًا عظيمة أكثر روعةً وعظمة من الألوان السابقة.

وفي نهاية تلك الليلة اقترب ناسك أوروفيلًا من المبارك، وتحدث إليه قائلاً: "حان وقت الطعام، أيها المعتزل العظيم، فإن الوجبة جاهزة. ولكن، من كان ذلك الذي أنار بُستان الغابة بأكمله، في هذه الليلة المجيدة، بلون بهي واقترب منك وقدم التحيّة، ثم جلس في الجهات الأربع كما لو كان نارًا عظيمة؟".
- "إنه البراهما ساهمبتي، أيها الناسك، وهو المبارك من الديفا، وقد قدم بهدف الاستماع إلى تعاليم الدارما".

ثم خطر في بال ناسك أوروفيلًا: حقًا، إن لهذا المعتزل العظيم قوى خارقة، وقد قدم إليه براهما ساهمبتي بهدف الاستماع إلى تعاليم الدارما، إلا أنه مع ذلك ليس أرهاتًا مثلي.
ومكث المبارك في بُستان الغابة ذاته بعد أن تناول الطعام الذي قدّمه له ناسك أوروفيلًا.

الأعجوبة الرابعة

في ذلك الوقت، قام ناسك أوروفيلًا بتقديم أضحية عظيمة، ومضى إليه سكان أنغا وماغادا ومعهم أصناف الطعام المختلفة. ثم خطر في بال ناسك أوروفيلًا: إنني حاليًا أقوم بتقديم أضحية عظيمة كما أنّ شعب أنغا وماغادا سيأتون للحصول على أصناف الطعام المختلفة. لكن، إن قام المعتزل العظيم بعرض أعجوبة من قواه الخارقة أمام الناس، فسوف يزداد كثيرًا احترامهم وتقديرهم له، وسيقلّ مقابل ذلك تقديرهم واحترامهم لي. لذا، يجب عدم قدوم المعتزل العظيم غدًا.

كان المبارك على علم بما يجول في بال ناسك أوروفيلًا. لذا، قام بالتوجّه إلى أتراكورو. وبعد أن نال بعض الطعام هناك، تناوله قرب بحيرة أنوتاتا حيث أخذ قسطًا من الراحة.

اقترب ناسك أوروفيليا في نهاية تلك الليلة من المبارك، وبادره الحديث قائلاً: حان الموعد أيها المعتزل العظيم، فإن طعامك جاهز. لكن، لماذا لم تأت البارحة أيها المعتزل العظيم؟ على أية حال، لقد تساءلنا: كيف يمكن للمعتزل العظيم ألا يأتي؟ لكننا احتفظنا لك جانباً بكل أصناف الطعام.

- ألم يخطر في ذهنك أيها الناسك أنني سوف أقدم أضحية عظيمة. وينبغي ألا يأتي المعتزل العظيم؟ فقد ذهب أيها الناسك إلى أثاركورو، حيث كنت على علم بما يجول في ذهنك. ثم حصلت على بعض الطعام هناك، وتناولته قرب بحيرة أنوتاتا، ونلت قسطاً من الراحة.

ثم خطر في ذهن ناسك أوروفيليا: حقاً، إن لهذا المعتزل العظيم قوى خارقة، إذ إن لديه أيضاً القدرة على معرفة ما يجول في ذهني. ومع هذا فهو ليس أرهاتاً مثلي.

ثم، وبعد أن تناول وجبته المقدمة إليه من قبل ناسك أوروفيليا، مكث المبارك في الغابة ذاتها.

الأعجوبة الخامسة

كان للمبارك في ذلك الوقت رداءً قديم، فخطر له: أين يمكنني الآن غسل هذا الرداء؟ حينها تمكّن السكا، وهو المبارك من الديفا، من معرفة ما يجول في ذهن المبارك. فحفر حفرة بيده، ثم تحدّث إلى المبارك قائلاً: "يمكنك أيها المبارك غسل الرداء هنا".

ثم خطر للمبارك: بم يمكنني فرك الرداء؟

وبمعرفة السكا لما يجول في ذهن المبارك، وضع حجراً كبيراً قربته وقال: "يمكنك، أيها المبارك، فرك الرداء هنا".

ثم فكر المبارك: والآن، كيف يمكنني جلب الماء؟ حينها، علم الديفاتا الذي يسكن شجرة كاكودا بما يجول في بال المبارك، فتنى غصناً نحوه، وقال: "يمكنك أيها المبارك جلب الماء بالاستناد إلى هذا الغصن".

ثم خطر في ذهن المبارك: والآن، على ماذا سأقوم بمد الرداء؟. وبمعرفة السكا لما يجول في ذهن المبارك، جاء بحجر كبير ووضعته إلى جانبه، وقال: "يمكنك أيها المبارك مد الرداء هنا".

اقترب ناسك أوروفيليا في نهاية تلك الليلة من المبارك، وبادره الحديث قائلاً: "حان موعد الطعام أيها المعتزل العظيم، وطعامك جاهز. لكن، من أين جاء هذا الحوض، أيها المعتزل العظيم؟ فهو لم يكن

هنا سابقًا، كما أنّ هذا الحجر لم يكن هنا أيضًا، فمن قام بوضعه؟ وماذا عن شجرة الكاكودا؟ فهي لم تكن منحنية من قبل".

- "إنّ السكّا، وهو المبارك من الديفا أيّها الناسك، علم بما يجول في ذهني، فقام بحفر حوض بيده، وقال لي: يُمكن للمبارك غسل رداءه هنا. لذا، فقد تمّ حفر هذا الحوض بيد كائن غير بشري".

ثمّ خطر لي أيّها الناسك: والآن كيف يُمكن لي فرك الرداء؟ لذا، تمّ وضع هذا الحجر الكبير من قبل كائن غير بشري. ثمّ خطر لي أيّها الناسك: كيف يُمكن لي جلب الماء؟ ثمّ قال الديفاتا: "أيّها الناسك يُمكن للمبارك جلب الماء بالتشبُّث بالغصن هنا". لذا، فقد كانت شجرة الكاكودا هنا لأمسك بها.

ثمّ خطر لي أيّها الناسك: على ماذا يُمكنني مدّ الرداء؟ ثمّ قام السكّا بذلك. لذا، فإنّ الحجر وضعه كائن غير بشري.

ثمّ خطر للناسك أوروفيلًا: لا بدّ أنّ المعتزل العظيم ذو قُوَى عظيمة، ذو قُوَى عظيمة! حتّى إنّه يحصل على العون من المبارك من الديفا. لكنّه مع ذلك ليس أرهاتًا مثلي.

وبعد أن تناول المبارك وجبته التي قدّمها ناسك أوروفيلًا، مكث في نفس البستان في الغابة.

ثمّ اقترب الناسك من المبارك في نهاية تلك الليلة، مُذكّرًا إيّاه بحلول وقت الطّعام، قائلاً: "لقد حان وقت الطّعام أيّها المعتزل العظيم. الوجبة جاهزة".

فردّ عليه المبارك: "انطلق أيّها الناسك، سألق بك". وبعد مغادرة الناسك أوروفيلًا، وبعد أن قطف ثمرة من شجرة تفاح الورد، التي سمّيت أرض تفاح الورد باسمها، وصل أولًا إلى غرفة النار. وحينما وصل الناسك ورأى المبارك جالسًا في غرفة النار، قال له: "أيّ طريق سلّكت، أيّها المعتزل العظيم؟ لقد انطلقت قبلك، لكنك وصلت قبلي إلى غرفة النار".

- "بعد أن أدنّت لك بالانصراف، وبعد أن قطفْتُ الفاكهة من شجرة تفاح الورد، التي سمّيت أرض تفاح الورد باسمها، وصلت أولًا إلى غرفة النار. حقًا، أيّها الناسك، فاكهة الورد هذه زاخرة بالألوان، مُفعمّة بالعطر والنكهة. فإذا كنت ترغب فيها، فتناولها.

- "لا، أيّها المعتزل العظيم، أنت وحدك تستحقّها، أنت وحدك تأكلها".

ثمّ خطر لناسك أوروفيلًا: حقًا، إنّ المعتزل العظيم يتمتّع بقُوَى عظيمة، قُوَى عظيمة، فمع أنّه أدن لي بالانصراف أولًا ... لقد سبّني إلى غرفة النار. لكنّه مع ذلك ليس أرهاتًا مثلي.

وَمَكَتَ الْمُبَارَكُ فِي نَفْسِ الْبُسْتَانِ، بَعْدَ أَنْ تَتَاوَلَ الْوَجْبَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّاسِكُ.

ثُمَّ اقْتَرَبَ النَّاسِكُ مِنَ الْمُبَارَكِ فِي نَهَايَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، مُذَكِّرًا إِيَّاهُ بِحُلُولِ وَقْتِ الطَّعَامِ، قَائِلًا: "لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ، الْوَجْبَةُ جَاهِزَةٌ".

- "انطَلِقْ أَيُّهَا النَّاسِكُ، سَأَلْحَقُ بِكَ".

وَبَعْدَ مُغَادَرَةِ النَّاسِكِ أُورُوفِيلا، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفَ ثَمْرَةَ المَانِجُو بِالْقُرْبِ مِنْ شَجَرَةِ ثُقَّاحِ الْوَرْدِ، الَّتِي سُمِّيَتْ أَرْضُ ثُقَّاحِ الْوَرْدِ بِاسْمِهَا، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفَ ثَمْرَةً مِنْ نَبَاتِ المِيرُوبَالَانَ الْقَرِيبَةِ مِنْ شَجَرَةِ المَانِجُو، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفَ ثَمْرَةَ المِيرُوبَالَانَ الصَّفْرَاءِ الْقَرِيبَةَ مِنْ نَبَاتِ المِيرُوبَالَانَ، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفَ الثَّمَارَ مِنْ جَنَّةِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ*، وَبَعْدَ أَنْ أَخَذَ زَهْرَةً مِنْ شَجَرَةِ المَرْجَانِ هُنَاكَ، وَصَلَ أَوَّلًا إِلَى غُرْفَةِ النَّارِ وَجَلَسَ فِيهَا.

وَحِينَمَا وَصَلَ النَّاسِكُ وَرَأَى الْمُبَارَكَ جَالِسًا فِي غُرْفَةِ النَّارِ، قَالَ لَهُ: "أَيَّ طَرِيقٍ سَلَكَتَ، أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ؟ لَقَدْ انطَلَقْتُ قَبْلَكَ، لَكَتَكَ وَصَلْتُ قَبْلِي إِلَى غُرْفَةِ النَّارِ".

- "بَعْدَ أَنْ أُذِنْتُ لَكَ بِالانصِرَافِ، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفْتُ الْفَاكِهَةَ مِنْ جَنَّةِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ، وَبَعْدَ أَنْ قَطَفْتُ زَهْرَةً مِنْ شَجَرَةِ المَرْجَانِ، هَا أَنَا جَالِسٌ فِي غُرْفَةِ النَّارِ، وَقَدْ وَصَلْتُ أَوَّلًا! حَقًّا، أَيُّهَا النَّاسِكُ، هَذِهِ الزَّهْرَةُ مُنْعَمَةٌ بِالْأَلْوَانِ وَالْعَبِيرِ. خُذْهَا، إِنْ شِئْتَ".

- "لَا، أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ، أَنْتَ وَحَدَّكَ تَسْتَحْقُّهَا، أَنْتَ وَحَدَّكَ تَأْخُذُهَا".

ثُمَّ خَطَرَ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَى عَظِيمَةٍ، فَمَعَ أَنَّهُ أُذِنَ لِي بِالانصِرَافِ أَوَّلًا... لَقَدْ سَبَقَنِي إِلَى غُرْفَةِ النَّارِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ أَرَهَاتًا مِثْلِي.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ يَتِمَّكَنْ هُوَلاءِ النَّسَاكِ، الَّذِينَ يَقُومُونَ بِرِعايَةِ النَّارِ الْمُقَدَّسَةِ، مِنْ تَقْطِيعِ الْعُصِيِّ. ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِ هُوَلاءِ النَّسَاكِ: لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ بِسَبَبِ الْقُوَى الرُّوحِيَّةِ لِلْمُعْتَزِلِ الْعَظِيمِ، نَحْنُ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى قَطْعِ الْعُصِيِّ. ثُمَّ قَالَ الْمُبَارَكُ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: "أَيُّهَا النَّاسِكُ، قَطِّعِ الْعُصِيَّ. قَطِّعْهَا، أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ". ثُمَّ قُطِّعَتِ حَمْسُمْنَةٌ مِنَ الْعُصِيِّ فِي وَقْتِ وَاحِدٍ.

1. جَنَّةُ ثَقَاتِيْسَمَا Tavatimsa heaven المَعْرُوفَةُ بِجَنَّةِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ -the heaven of the Thirty

Three". وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْجِنَانِ فِي الكُوزْمُولُوجِيَا، أَوْ عِلْمِ الكُونِ البُودِيَّيِّ. وَيُقَالُ إِنَّ أَشْجَارَ المَرْجَانِ

السَّماويَّة تَنْبُت فِيهَا. وَأَزْهَارُهَا جَمِيلَةٌ وَعَطْرَةٌ لِلْغَايَةِ. وَالْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ بُودَا صَعِدَ بِقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ إِلَى ذَلِكَ الْعَالَمِ السَّماويِّ، وَقَطَفَ زَهْرَةً مِنْ شَجَرَةِ الْمَرْجَانِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّاسِكُ.

ثُمَّ خَطَرَ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَدْ قَطَعَ الْعُصِيَّ. لَكِنَّهُ، مَعَ ذَلِكَ، لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمْ يَتِمَّكَّنْ هَوْلَاءِ النَّسَاكِ، الَّذِينَ يَقُومُونَ بِرِعَايَةِ النَّارِ الْمُقَدَّسَةِ، مِنْ إِشْعَالِ النَّارِ. ثُمَّ خَطَرَ فِي بَالِ هَوْلَاءِ النَّسَاكِ: لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ بِسَبَبِ الْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْمُعْتَزِلِ الْعَظِيمِ، نَحْنُ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى إِشْعَالِ النَّارِ. ثُمَّ قَالَ الْمُبَارِكُ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: "أَيُّهَا النَّاسِكُ، دَعِ النَّارَ تَشْتَعِلْ. لِتُشْعَلَ النَّارُ، أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ". فَأَشْعَلْتَ خَمْسِمِئَةَ شُعْلَةٍ مِنَ النَّارِ فِي آنٍ وَاحِدٍ

ثُمَّ خَطَرَ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَدْ أَشْعَلَ النَّارَ لَكِنَّهُ، مَعَ ذَلِكَ، لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

وَبَعْدَ أَنْ رَعَى النَّسَاكُ النَّارَ الْمُقَدَّسَةَ، لَمْ يَتِمَّكَّنُوا مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ ... فَأَطْفَأَ الْمُبَارِكُ خَمْسِمِئَةَ الشُّعْلَةِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ...

ثُمَّ خَطَرَ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلا: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ، قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَدْ أَطْفَأَ النَّارَ ... لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ وَأَثْنَاءَ تَسَاقُطِ الثَّلُوجِ، كَانَ يَغْمُرُ هَوْلَاءِ النَّسَاكِ أَنْفُسَهُمْ فِي النَّهْرِ، ثُمَّ يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا. ثُمَّ صَنَعَ الْمُبَارِكُ مَا يَصِلُ إِلَى خَمْسِمِئَةِ وَعَاءٍ لِحَمْلِ النَّارِ، حَيْثُ قَامَ هَوْلَاءِ النَّسَاكِ بِتَدْفِئَةِ أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ النَّهْرِ.

ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِ هَوْلَاءِ النَّسَاكِ: لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ صَنَعَ هَذِهِ الْأَوْعِيَةَ بِسَبَبِ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ. ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِ نَاسِكِ أُورُوفِيلا: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَدْ تَمَّكَّنَ مِنْ إِنْشَاءِ أَوَانِي النَّارِ هَذِهِ. لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

هَطَلَتْ أَمْطَارٌ غَزِيرَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي غَيْرِ مَوْسِمِهَا، فَحَدَّثَتْ فَيْضَانٌ كَبِيرًا. وَكَانَ الْمُبَارِكُ حِينَئِذٍ مُقِيمًا فِي مَكَانٍ غَمَرَتْهُ الْمِيَاهُ. ثُمَّ خَطَرَ لِلْمُبَارِكِ: يَنْبَغِي بَعْدَ أَنْ جَعَلْتُ الْمِيَاهَ تَنْحَسِرُ مِنْ حَوْلِي، أَنْ أُسْرِعَ

العَدُوّ في مُنْتَصَفِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُغَطَّةِ بِالْغُبَارِ. ثُمَّ بَعْدَ أَنْ جَعَلَتِ الْمِيَاهُ تَتَحَسَّرُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، تَقَدَّمَ يُسْرَعُ الْعَدُوّ فِي مُنْتَصَفِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُغَطَّةِ بِالْغُبَارِ.

كَانَ نَاسِكٌ أُورُوفِيلاً يُفَكِّرُ حِينَهَا: أَمَلٌ أَلَّا يَكُونَ الْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ. فَانْطَلَقَ مَعَ الْعَدِيدِ مِنَ النَّسَاكِ، فِي قَارِبٍ، إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُقِيمُ فِيهِ الْمُبَارَكِ. ثُمَّ رَأَى النَّاسِكَ أَنَّ الْمُبَارَكِ الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ يَنْحَسِرُ مِنْ حَوْلِهِ، كَانَ يَسِيرُ بِخُطَى سَرِيعَةٍ فِي وَسْطِ أَرْضٍ مُغَطَّةٍ بِالْغُبَارِ. فَخَاطَبَ الْمُبَارَكِ قَائِلًا: "هَلْ أَنْتَ حَقًّا هُنَا، أَيُّهَا الْمُعْتَزِلُ الْعَظِيمُ؟".

- "نَعَمْ هَذَا أَنَا أَيُّهَا النَّاسِكُ". وَصَعَدَ إِلَى الْقَارِبِ.

ثُمَّ خَطَرَ لِنَاسِكِ أُورُوفِيلاً: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَى عَظِيمَةٍ، فَلَمْ تَسْحَبْهُ الْمَاءُ. لَكِنَّهُ، مَعَ ذَلِكَ، لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

ثُمَّ خَطَرَ لِلْمُبَارَكِ: الْآنَ، سَوْفَ يَظُنُّ هَذَا الرَّجُلُ الْأَحْمَقُ وَلَوْ قَدْ طَوِيلَ: حَقًّا، إِنَّ الْمُعْتَزِلَ الْعَظِيمَ يَتَمَتَّعُ بِقُوَى عَظِيمَةٍ، فَلَمْ تَسْحَبْهُ الْمَاءُ. لَكِنَّهُ، مَعَ ذَلِكَ، لَيْسَ أَرْهَاتًا مِثْلِي.

لَكِنْ، الْآنَ، يَنْبَغِي أَنْ أُحَرِّكَ هَذَا النَّاسِكَ وَأُثِيرَهُ فِي أَعْمَاقِهِ.

فَتَحَدَّثَ الْمُبَارَكُ إِلَى النَّاسِكِ قَائِلًا: "أَيُّهَا النَّاسِكُ، لَسْتَ أَرْهَاتًا، وَلَمْ تَدْخُلْ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ. فَمَسَارِ الْأَرْهَاتِ وَمَسَارِ الْكَمَالِ لَيْسَا لَكَ".

ثُمَّ قَالَ نَاسِكُ أُورُوفِيلاً، وَهُوَ يَحْنِي رَأْسَهُ نَحْوَ قَدَمِي الْمُبَارَكِ: "أَيُّهَا الْمُبَارَكُ، هَلْ لِي أَنْ أَدْخُلَ فِي مَسَارِ الرَّهْبَةِ فِي حَضْرَةِ الْمُبَارَكِ؟ هَلْ لِي أَنْ أَتَلَقَّى عُهُودَ الرَّهْبَةِ؟".

وَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُبَارَكُ: "أَيُّهَا النَّاسِكُ، أَنْتَ الْقَائِدُ وَالْمُرْشِدُ وَالرَّئِيسُ الْأَعْلَى لِحَمِيمَةِ مِنَ النَّسَاكِ، فَمَ بِاسْتِشَارَتِهِمْ حَتَّى يَتِمَّ كُنُوزُهُمْ مِنْ فِعْلِ مَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ صَوَابٌ".

فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: "أَرْغَبُ أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ فِي دُخُولِ حَيَاةِ الْقِدَاسَةِ، وَلِيَفْعَلَ السَّادَةُ الْمُؤَقَّرُونَ مَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ صَوَابٌ".

وحينَ استشارهم، كانَ هذا رَدَّ النَّسَاكِ عَلَيْهِ: "لقد سَعِدْنَا كَثِيرًا، أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُوقِّرُ بِالْمُعْتَزِلِ الْعَظِيمِ. فَإِذَا أَرَدْتَ، سَيِّدِي الْمُبْجَلِ، أَنْ تَعِيشَ حَيَاةَ الْقَدَاسَةِ مَعَ الْمُعْتَزِلِ الْعَظِيمِ، فَسَوْفَ نَدْخُلُ جَمِيعُنَا فِي حَيَاةِ الْقَدَاسَةِ مَعَ الْمُعْتَزِلِ الْعَظِيمِ".

رَأَى زَاهِدُ النَّهْرِ الشَّعْرَ وَضَفَائِرَ الشَّعْرِ، وَالصُّرَّرَ، وَأَدْوَاتِ عِبَادَةِ النَّارِ، وَقَدْ تَمَّ رَجُّهَا فِي الْمَاءِ. وَحِينَ رَأَى ذَلِكَ، خَطَرَ لَهُ: أَمَلٌ أَلَّا يَكُونَ أَخِي فِي خَطَرٍ. فَأَرْسَلَ زَاهِدِينَ آخَرِينَ قَائِلًا لَهُمَا: "اذْهَبَا وَاكَتْشِفَا أَمْرَ أَخِي". ثُمَّ اقْتَرَبَ مَعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ النَّسَاكِ، وَعَدَّهُمْ ثَلَاثُمِئَةً مِنْ نُسَاكِ أَوْرُوفِيلا.

وَسَأَلَ النَّاسِكُ الْمُوقِّرَ فِي أَوْرُوفِيلا: "هَلْ هَذَا أَفْضَلُ، أَيُّهَا النَّاسِكُ؟"

- "نَعَمْ يَا صَدِيقِي، هَذَا أَفْضَلُ".

ثُمَّ اقْتَرَبَ الرَّهَادُ، الَّذِينَ أَلْقَوْا شَعْرَهُمْ، وَضَفَائِرَهُ، وَصُرَّرَهُمْ، وَأَدْوَاتِ عِبَادَةِ النَّارِ فِي الْمَاءِ، يَحْنُونُ رُؤُوسَهُمْ نَحْوَ قَدَمَيْ الْمُبَارِكِ، وَقَالُوا لَهُ: "أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، نَرْجُو أَنْ نَدْخُلَ الْمَسَارَ فِي حَضْرَةِ الْمُبَارِكِ". فَرَدَّ الْمُبَارِكُ: "تَعَالَوْا، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، لَقَدْ عَلِمْتُ الدَّارَما خَيْرَ تَعْلِيمٍ، فَادْخُلُوا فِي الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسَةِ لِإِنْهَاءِ الْمُعَانَاةِ تَمَامًا". وَكَانَ هَذَا دُخُولَ هَؤُلَاءِ الْمُوقِّرِينَ فِي الْمَسَارِ.

رَأَى زَاهِدُ غَايَا الشَّعْرِ وَضَفَائِرَ الشَّعْرِ، وَالصُّرَّرَ، وَأَدْوَاتِ عِبَادَةِ النَّارِ، وَقَدْ تَمَّ رَجُّهَا فِي الْمَاءِ. وَحِينَ رَأَى هَذَا، خَطَرَ لَهُ: أَمَلٌ أَلَّا يَكُونَ إِخْوَتِي فِي خَطَرٍ. فَأَرْسَلَ زَاهِدِينَ آخَرِينَ قَائِلًا لَهُمَا: "اذْهَبَا وَاكَتْشِفَا أَمْرَ أَخِي". ثُمَّ اقْتَرَبَ مَعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ النَّسَاكِ، وَعَدَّهُمْ مِئَةً نَاسِكٍ، مِنْ زَاهِدِ أَوْرُوفِيلا الْمُوقِّرِ. وَقَالَ لَهُ: "أَهَذَا أَفْضَلُ أَيُّهَا الزَّاهِدُ؟"

- "نَعَمْ يَا صَدِيقِي، إِنَّهُ أَفْضَلُ".

ثُمَّ اقْتَرَبَ هَؤُلَاءِ الرَّهَادِ مِنَ الْمُبَارِكِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَوْا ضَفَائِرَ الشَّعْرِ، وَالصُّرَّرَ، وَأَدْوَاتِ عِبَادَةِ النَّارِ فِي الْمَاءِ، وَهُمْ يَحْنُونُ رُؤُوسَهُمْ نَحْوَ قَدَمَيْ الْمُبَارِكِ. وَقَالُوا لَهُ: "أَيُّهَا الْمُبَارِكُ، نَرْجُو أَنْ نَتَّخِذَ عُهُودَ الرَّهْبَانَةِ فِي حَضْرَةِ الْمُبَارِكِ". فَرَدَّ الْمُبَارِكُ: "تَعَالَوْا، أَيُّهَا الرَّهْبَانُ، لَقَدْ عَلِمْتُ الدَّارَما خَيْرَ تَعْلِيمٍ، فَادْخُلُوا فِي حَيَاةِ الْقَدَاسَةِ لِإِنْهَاءِ الْمُعَانَاةِ تَمَامًا". وَكَانَ هَذَا دُخُولَ هَؤُلَاءِ الْمُوقِّرِينَ فِي الْمَسَارِ.

وَمِنْ خِلَالِ الثَّبَاتِ النَّفْسِيِّ لِلْمُبَارِكِ، فَإِنَّ الْعُصْبِيَّ الْخَمْسَمِئَةَ مِنَ النَّارِ الَّتِي اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّقْطِيعِ قَدْ قُطِعَتْ، وَالنَّارَ الَّتِي اسْتَعْصَى إِشْعَالُهَا قَدْ أَشْعَلَتْ، وَالنَّارَ الَّتِي مَا أَمَكْنَ إِخْمَادُهَا قَدْ أُخْمِدَتْ، وَأُنْشِئَ خَمْسَمِئَةَ وَعَاءٍ لِلنَّارِ. وَهَكَذَا، أَصْبَحَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسَمِئَةَ أُعْجُوبَةٍ.

ثم انطلق المبارك في جولة إلى رأس غايا مع مجموعة كبيرة من الرهبان، بعد أن أقام فترة مناسبة في أروفيلا. وكان هؤلاء الرهبان الألف هم من كانوا من الزاهدين متلبدي الشعر. وبقي المبارك بالقرب من رأس غايا مع الرهبان الألف.

وهناك خاطب المبارك الرهبان قائلاً:

"أيها الرهبان! كل شيء يحترق. فما هو هذا، أيها الرهبان؟! العين تحترق، والأشكال تحترق، ووعي العين يحترق، والتلامس البصري يحترق. وأي شعور ينشأ عند التواصل بالبصر - سواءً أكان مُمتعاً أم مؤلماً، أم غير مؤلم ولا مُمتع - فهو أيضاً يحترق. يحترق بماذا؟ يحترق بنار الاشتهاة، بنار الكره، ونار الوهم، ونار الولادة، وكبر السن والموت، والأسى والنحيب، والألم، والبؤس، واليأس.

الأذن تحترق ... والذهن يحترق ... وأي شعور ينشأ عند التواصل بالأذن - سواءً أكان مُمتعاً أم مؤلماً، أم غير مؤلم ولا مُمتع - فهو أيضاً يحترق. يحترق بماذا؟ يحترق بنار الاشتهاة، ونار الكره، ونار الوهم. يحترق بالولادة والشيوخة والموت، والحزن، والرثاء، والألم، والاكتئاب، واليأس.

عند إدراك هذا، أيها الرهبان، يزول تعلق التلميذ النبيل، والمتدرب النبيل، بالعين، ووعي العين، والأشكال، وما تتصل به العين .. وبأي شعور ينشأ من الاتصال البصري - سواءً أكان مُمتعاً أم مؤلماً، أم غير مؤلم أو مُمتع. ويزول تعلقه بالأذن ... وبالذهن ... وبأي شعور ينشأ من الاتصال الذهني كشرط... فيزول تعلقه، ويصير هادئاً. ومن خلال الهدوء يتحرر ذهنه. وحين يتحرر تأتي المعرفة: لقد تحرر. فهو يدرك بأن الميلاد قد انتهى، وأنه قد عاش الحياة الروحية، وأن ما كان يجب القيام به قد تم، ولم تعد هناك عودة إلى أي حالة من الوجود.

هذا ما قاله المبارك. فابتهج هؤلاء الرهبان بما قاله. وأثناء هذا الخطاب، تحررت أذهان الآلاف من الرهبان من التعلق وشوائبه.

تم الحديث عن الاحتراق وعجائب أروفيلا

لقاء الملك سينييا بمبيسارا

ثم قام المبارك، بعد أن مكث في رأس غايا ما شاء من الوقت، بجولة إلى راجاها مع مجموعة كبيرة من الرهبان، مع نفس الرهبان الألف الذين كانوا في السابق من الزهاد ذوي الشعر المتلبد. ثم وصل المبارك في الوقت المناسب، وهو يسير في جولة، إلى راجاها. فأقام هناك في أرض المسرة، في بستان النخيل عند ضريح سوباتتها. ثم سمع الملك سينييا بمبيسارا ملك ماغادا King Seniya Bimbisara of Magadha بوصول غوتاما المعتزل، ابن عشيرة الساكيا، إلى راجاها، وبأنه يقيم هناك في أرض المسرة، في بستان النخيل في ضريح سوباتتها.

انتشر صيغ المبارك غوتاما وسمعته الطيبة. فهو حقاً شخص مبارك، وأزاهت مستتير تماماً، وموهوب بالمعرفة والتصرف، أجاد حياة القداسة، عارف بالعوالم، قائد منقطع النظير في تدريب الناس وتهذيبهم، معلم الديفا والبشر، المستتير، المبارك.

بعد أن عرف العالم بمعرفته الفائقة، جعله معروفاً بمن فيه من كائنات الديفا والمارا والبراهما والمعتزلين. إنه يعلم الدارما، وهي كلها خير في أولها ووسطها وآخرها. يشرح حياة القداسة كاملة بكل نقائها، بالروح والحرف. من الخير حقاً أن ترى أزهاثاً مثل هذا الأزهاث.

ثم اقترب الملك سينييا بمبيسارا من المبارك، مُحاطاً بعدد لا يحصى من البراهمة والناس العاديين في ماغادا. فلما اقترب وسلم على المبارك جلس على مسافة تُظهر الاحترام. وكذلك قام بعض ممن مع الملك بتحيته والجلوس على مسافة تُظهر الاحترام. وتبادل بعضهم التحيّة بؤد مع المبارك، وجلسوا على مسافة تُظهر الاحترام. وحيّاه البعض الآخر بضمّ أيديهم إلى صدورهم، ثم الجلوس على مسافة محترمة. هتف البعض باسمهم وعشيرتهم أمام المبارك وجلسوا على مسافة تُظهر الاحترام. والبعض التزموا الصمت وجلسوا على مسافة تُظهر الاحترام.

ثم خطر سؤال في بال هؤلاء الحضور في ماغادا: هل المعتزل العظيم يعيش حياة القداسة بتوجيه من ناسك أوروفيل، أم ناسك أوروفيل يعيش حياة القداسة بتوجيه من المبارك؟ ثم - وهو يعلم بذنه ما يدور في أذهان جميع الحاضرين في ماغادا - خاطب المبارك ناسك أوروفيل المؤقر بهذه العبارات الشعرية:

"الأضحيات [كما في الهندوسية ونصوص الفيديا] تدلُّ على الأشكال والأصوات،

وعلى الأذواق أيضًا.. والملذات والنساء،

مع العلم أنّ هذا حثالة العواطف وربّدها.

فلا الأضحيات تُسرّني ولا العطايا".

قال المُبارك: "ولكن، إذا لم يكن ذهنك يجد مسرّة هناك، أيّها النَّاسك، في الأشكال والأصوات والأذواق أيضًا، فماذا يسعد ذهنك، إذن، في عالم الدّيفا والبشر؟ أخبرني، أيّها النَّاسك!".

- "لما رأيتُ حالة السّلام مُنبّئة الجذور التي تنمو عليها العوائق،

ومنقطعة عن التعلّق بالمتع الحسيّة والوجود،

حالة لا تُغيّر فيها، إذ لا يتقاد المرء للآخرين،

فلا الأضحيات عادت تُسرّني ولا العطايا".

[مفهوم الأضحيات (yajati) بناءً على المفهوم الهندوسيّ واسع للغاية، يشمل جميع أنواع الأعمال التي يتمّ إجراؤها عند القيام بالأضحية أو القرابين، مثل جلب الحطب للنار من الغابة، أو أيّ نوع من القرابين (مثل كعكة القرابين)، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، إلقاء شيء في النار. أمّا بالنسبة إلى مفهوم العطايا (Juhoti)، فيُقصد به تقديم شيء سائل. وهذا يقتصر على إلقاء شيء على صورة سائل (سمن، أو لبن، أو سوما) في النار].

ثمّ قام ناسك أوروفيل الموقر، وهو ينهض من مقعده، ويضع رداءه العلويّ على كتفٍ واحدة. وبعد أن أمال رأسه نحو قدمي المُبارك، تحدّث إليه قائلاً: "أيّها المُبارك، المُبارك هو مُعلّمي، وأنا تلميذٌ. أيّها المُبارك، المُبارك هو مُعلّمي، وأنا تلميذٌ".

ثمّ حطّر ببال جميع الحُضور في ماغادا أنّ ناسك أوروفيل يعيش حياة القُداسة في ظلّ المُعتزل العظيم.

ثمّ تحدّث المُبارك، وهو يعلم ما في أذهان الحُضور، حديثاً مُتسلسل المنطق، فقال: "إنّ كلّ ما من طبيعته أن ينشأ، من طبيعته أن يزول". فأعلن الحُضور اتّباعه من غير أن يصيروا رهبانًا.

ثمَّ بعدَ أن رأى الملكَ بِمِيسَارَا ملكُ ماغادا أَنَّهُ أدركَ الدَّارِما، ونالَ الدَّارِما، وتشرَّبَ الدَّارِما، وبيدَ أن تجاوزَ الشَّكَّ وتخلَّصَ مِنْه، وبيدَ أن وصلَ دُونَ مُسَاعِدَةِ الآخِرِينَ إِلَى الثِّقَّةِ الكَامِلَةِ بتعاليمِ المعَلِّمِ، قالَ للمُبَارِكِ: "في السَّابِقِ، أَيُّهَا المُبَارِكِ، حينَما كُنْتُ شابًّا كانَ لَدَيَّ خَمْسُ أُمْنِيَّاتٍ. وقد أدركْتُهَا الآنَ:

1. في السَّابِقِ، أَيُّهَا المُبَارِكِ، وحينَما كُنْتُ شابًّا حَطَرَ بِبِالِي: أَيُمَكِّنِي أَنْ أَصِيرَ مَلِكًا؟ كانَ هذا أَوَّلَ طُمُوحٍ لِي، أَيُّهَا المُبَارِكِ. وقد نِلْتُ ذلكَ.

2. وَأَنْ يَزُورَنِي الأَرَهَاتُ والمُسْتَنِيرُ بِالكَامِلِ في مَمْلَكَتِي. كانَ هذا، أَيُّهَا المُبَارِكِ، طُمُوحِي الثَّانِي. وقد أدركْتُ ذلكَ الآنَ.

3. وَأَنْ أَجِلَّ هذا المُبَارِكِ. كانَ هذا، أَيُّهَا المُبَارِكِ، طُمُوحِي الثَّالِثِ. وقد أدركْتُ ذلكَ الآنَ.

4. وَأَنْ يُعَلِّمَنِي هذا المُبَارِكِ الدَّارِما. كانَ هذا، أَيُّهَا المُبَارِكِ، طُمُوحِي الرَّابِعِ. وقد أدركْتُ ذلكَ الآنَ.

5. وَأَنْ أَفْهَمَ هذه الدَّارِما. كانَ هذا، أَيُّهَا المُبَارِكِ، طُمُوحِي الخَامِسِ. وقد أدركْتُ ذلكَ الآنَ.

في السَّابِقِ، أَيُّهَا المُبَارِكِ، وحينَما كُنْتُ شابًّا كَانَتْ لَدَيَّ هذه الطُّمُوحَاتُ الخَمْسَةُ. وقد أدركْتُهَا الآنَ.

عَظِيمٌ، أَيُّهَا المُبَارِكِ! عَظِيمٌ، أَيُّهَا المُبَارِكِ! لقد شرحَ المُبَارِكُ الدَّارِما بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ. ولذلك اتَّخَذَ المُبَارِكُ والدَّارِما ومُجْتَمَعُ الرُّهْبَانِ مَلْجَأً لِي. فَلِيقْبَلُنِي المُبَارِكُ مِنَ اليَوْمِ فصَاعِدًا، وطالَمَا بَقِيْتُ حَيًّا، تَلْمِيذًا غَيْرَ رَاهِبٍ. وَلِيُوافِقِ المُبَارِكُ على تَنَاولِ وَجْبَةٍ مَعِي غَدًا مَعَ الرُّهْبَانِ".

وافقَ المُبَارِكُ بالصَّمْتِ. ثمَّ غادرَ الملكُ بِمِيسَارَا ملكُ ماغادا، جاعِلًا جانِبَهُ الأَيْمَنَ تُجاهَ المُبَارِكِ.

ثمَّ أعلنَ أَنَّهُ أَعَدَّ، في نِهايَةِ تلكَ اللَّيْلَةِ، مائدةً فُخْمَةً مِنْ كُلِّ الأشْكالِ.

ثمَّ دخلَ المُبَارِكِ، بعدَ أَنْ ارتدى ثِيابَهُ في الصَّبَاحِ، وأخذَ صَحْنَهُ ورداءَهُ، إلى راجاها مَعَ الرُّهْبَانِ

الأَلْفِ الَّذِينَ كانوا سابِقًا نُسَّاكًا متلبِّدِي الشَّعْرِ.

الآنَ، وفي ذلكَ الوقتِ، سارَ السُّكَّا حاكمَ الدِّيفَا، بعدَ أَنْ اتَّخَذَ شكلَ شابٍّ مِنَ البِراهمَنِ، أمامَ جَمْعِ

الرُّهْبَانِ، مَعَ المُبَارِكِ على رأسِهِم.

كانَ السُّكَّا يَسِيرُ وهو يُنشدُ هذه العِبارَاتِ:

"مَنْ رَوَّضَ نَفْسَهُ مَعَ مَنْ رَوَّضُوا أَنْفُسَهُمَ،

مَعَ النُّسَّاكِ السَّابِقِينَ متلبِّدِي الشَّعْرِ،

مَنْ تَحَرَّرَ جَيِّدًا مَعَ مَنْ تَحَرَّرُوا جَيِّدًا،

المُبَارِكِ بلونٍ زاهٍ كَرخِفةٍ ذَهَبِيَّةٍ،

دَخَلَ رَاجَاغَاها .

مَنْ تَحَرَّرَ جَيِّدًا مَعَ مَنْ تَحَرَّرُوا جَيِّدًا ،
مَعَ النُّسَاكِ السَّابِقِينَ مَتَلِّبِي الشَّعْرِ ،
المُبَارِكِ بِلَوْنِ زَاهٍ كَزَخْرَفَةِ ذَهَبِيَّةٍ ،
دَخَلَ رَاجَاغَاها .

مَنْ عَبَّرَ مَعَ مَنْ عَبَّرُوا (أَيَّ أَنْ بُودَا والنُّسَاكِ نَالُوا النِّرْفَانَا) .
مَعَ النُّسَاكِ السَّابِقِينَ مَتَلِّبِي الشَّعْرِ ،
مَنْ تَحَرَّرَ جَيِّدًا مَعَ مَنْ تَحَرَّرُوا جَيِّدًا ،
المُبَارِكِ بِلَوْنِ زَاهٍ كَزَخْرَفَةِ ذَهَبِيَّةٍ ،
دَخَلَ رَاجَاغَاها .

صَاحِبُ الحَالَاتِ العَشْرِ [ومنها نَقَاءُ النِّيَّةِ، والهُدُوءُ التَّامُّ للجِسْمِ، والنَّحْرُ التَّامُّ للدِّهْنِ، والنَّحْرُ
بالْحِكْمَةِ]،

وصَاحِبُ القُوَى العَشْرِ [ومنها فَهْمُ الأَشْيَاءِ على حَقِيقَتِهَا، والإدْرَاكُ الكَامِلُ لقَانُونِ الكَارِمَا، ورُؤْيَا
كُلِّ حَيَوَاتِهِ السَّابِقَةِ عِبْرَ الدُّهُورِ المَاضِيَةِ، وَأَنَّهُ حَزَّرَ ذِهْنَهُ الكَامِلَ بِالمَعْرِفَةِ المَبَاشِرَةِ والحِكْمَةِ، دُونَ مُعَلِّمٍ
(أَيَّ دُونَ مُعَلِّمٍ فِي هَذَا المَوْضُوعِ على وَجْهِ الخُصُوصِ. لَكِنَّهُ تَعَلَّمَ على يَدِ الكَثِيرِينَ، فَمَا نَالَهُ فِي النِّهَايَةِ
كَانَ دُونَ مُعَلِّمٍ)،

مُلِمًّا بِالأُمُورِ العَشْرَةِ [ومنها الامْتِنَاعُ عَنِ الأَذَى، وإِسَاءَةُ السُّلُوكِ، والكَلَامُ البِذْيِءِ والقَاسِي]،
وَمُتَشِّحًا بِالعَشْرَةِ [ومنها الرُّؤْيَا السَّلِيمَةِ، والعَيْشُ السَّلِيمُ وَالتَّرْكِيزُ السَّلِيمُ]،
هُوَ المُبَارِكُ مُحَاطٌ بِعِشْرٍ مِئَةٍ،
دَخَلَ رَاجَاغَاها".

حِينَ رَأَى النَّاسُ السَّكَا، حَاكِمَ الدِّيْفَا، قَالُوا: "حَقًّا، هَذَا الشَّابُّ البِرَاهِمَن رَائِعٌ، حَقًّا هَذَا الشَّابُّ البِرَاهِمَن
خُلُو النَّظَرُ إِلَيْهِ. حَقًّا هَذَا الشَّابُّ البِرَاهِمَن فَتَانٌ. وَالآنَ، مَنْ هُوَ هَذَا الشَّابُّ البِرَاهِمَن؟".
وَحِينَهَا، خَاطَبَ السَّكَا - المُبَارِكُ مِنَ الدِّيْفَا - هُوَلاءِ النَّاسِ شِعْرًا، فَقَالَ:

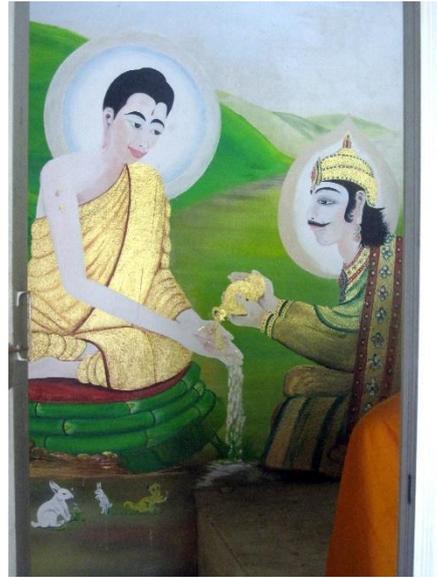
"الثَّابِتُ، وَمَنْ رَوَّضَ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،

مُسْتَنْبِرٌ، مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ بَيْنَ الرَّجَالِ،

كَامِلٌ، أَنْتَمَ حَيَاةَ الْقِدَاسَةِ،

أَنَا مُرَافِقُهُ فِي الْعَالَمِ".

ثم اقترب المبارك من منزل ملك ماغدا، سنيا بميسارا، وجلس على المقعد المحدد مع الرهبان. ثم أكرم الملك سنيا بميسارا ملك ماغدا بيده، بعد أن أَرْضَى الرهبان، والمستنير على رأسهم، بطعام فاخر من شتى الأشكال. وعندما انتهى المبارك من تناول الطعام، جلس على مسافة تُظهر الاحترام. وخطر في بال الملك: والآن، أين يمكن للمبارك أن يكون على مسافة من القرية، لا بعيدة جدًا ولا قريبة جدًا، في مكانٍ مناسبٍ للذهاب والإياب، يصله الناس متى أرادوا، غير مُزدحم بالنهار، قليل الصّوضاء في الليل، بقليلٍ من الأصوات، ذي خصوصية، ومناسبٍ للعزلة والخلوة؟



ثم خطر ببال الملك: بستان البامبو بستاننا هذا، مُتَنَزِّه التَّسْلِيَةِ، لَيْسَ بَعِيدًا جَدًّا عَنِ الْقَرْيَةِ ...

مُنَاسِبٌ لِلْعَزَلَةِ. فَلَأُقَدِّمَ بُسْتَانَ الْبَامْبُو إِلَى الرَّهْبَانِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُسْتَنْبِرُ.

ثم، بعد أن أخذَ إِنْءَاءً احْتِفَالِيًّا مَصْنُوعًا مِنَ الذَّهَبِ، أَهْدَاهُ إِلَى الْمُبَارِكِ وَقَالَ: "اسْمَحْ لِي، أَيُّهَا الْمُبَارِكُ،

أَنْ أَمْنَحَ بُسْتَانَ الْبَامْبُو هَذَا إِلَى الرَّهْبَانِ، وَأَنْتَ عَلَى رَأْسِهِمْ". فَقَبِلَ الْمُبَارِكُ الْبُسْتَانَ.

ثمّ غادر المبارك، بعد أن أبهج الملك وأسره بالحديث عن الدارما. ثمّ خاطب المبارك، بهذه المناسبة، الرهبان بكلامٍ حَصيف، وقال لهم: "أيُّها الرهبان، آذنُ بأن نَتَّخِذَ الْمُتَنَزَّهَ مَكَانًا لَنَا".
ثمّ الحديث عن اللِّقاء بالملك بِمِيسارا

دخول شاريبوترا وموغلانا في المسار

في ذلك الوقت، كان سنجايا متجولاً يُقيم في راجاها مع منئين وخمسين متجولاً. في ذلك الوقت، كان شاريبوترا وموغلانا Sariputta and Moggallana يعيشان حياة القداسة تحت توجيه سنجايا المتجول، وقد اتفقا فيما بينهما على أن من يدرك الزرفانا أولاً، يعلن ذلك للآخر.

ثم دخل الموقر أساجي، بعد أن ارتدى ثيابه في الصباح، وأخذ وعاءه ورياءه، متوجّهاً إلى راجاها ليحصل على طعام الصدقات. وكان شخصاً ملهماً مهما فعل، سواء اقترب أم ابتعد، نظر إلى الأمام أم إلى الخلف، سحب زراعته أم مدها. كانت عيناه منخفضةتين، وكان يتحلّى بسلك ملهم.

رأى المتجول شاريبوترا الموقر أساجي يمشي للحصول على الصدقة في راجاها، وخطر له: هذا بحقّ آزمات، أو ممن دخلوا في الطريق إلى الكمال. فلأقترّب منه وأسأله: "من أنت أيها الموقر؟ ومن هو معلّمك؟ وما هي الدارما التي تتبّعها؟".

ثم خطر ببال المتجول شاريبوترا: لكنّ هذا ليس الوقت المناسب لسؤال هذا الزاهد، فقد دخل بين البيوت، وهو يمشي للحصول على طعام الصدقة. ينبغي، إذن، أن أتبع عن كثب هذا الزاهد الذي لديه علم مفيد.

بعد أن عاد الموقر أساجي، اقترب منه شاريبوترا، وتبادل معه تحيات لطيفة ووُدّية، ثم وقف على مسافة تُظهر الاحترام، وتحدّث إليه قائلاً: "أيها الموقر، ملكاتك نقيّة تماماً، بشرتك مشرقة جدّاً، وواضحة جدّاً. من معلّمك، وما هي الدارما التي تدرّسها؟".

- "هناك، يا صديقي، معتزّ عظيم، ابن عشيرة الساكيا، وقد اتبعت مساره. وهذا المبارك هو معلّمي وأتبع الدارما التي يُعلّمها".

- "وماذا يُعلّم معلّمك الموقر؟ ما الذي يُشير إليه؟".

- "أنا الآن، يا صديقي، جديّد على هذه الدارما وعلى هذا المسار. لا أستطيع أن أعلمك الدارما بالكامل، لكنّ يمكنني أن أخبرك بمضمونها باختصار".

فأجاب شاريبوترا: "قليلٌ كذلك، أخبرني القليل أو الكثير. لكنّ، وعلى أيّ حال، اشرح لي مضمونها، المضمون فقط هو ما أريد. لا داعي للتفاصيل".

ثمّ قال الموقر هذا التعبير المحكم عن الدارما لشاريبوترا:

"تلك الأشياء التي تنشأ عن سبب،

قد أخبر من وجد الحقيقة عن سببها،

وما يُوقف نُشوءَها.

النَّاسُكَ العَظِيمَ لَدِيهِ مِثْلُ هَذِهِ التَّعَالِيمِ".

عندما سمع المتجول شاريبوترا هذا التعبير المحكم عن الدارما، نشأت فيه رؤية الدارما، بلا غبار ولا صدأ، وأن: **كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ.**

قال: "هذه هي بالفعل دارما. فقد توغلت في الطريق الذي لا أسي فيه، الطريق الذي لا يرى والذي أهمل دهورًا طويلة".

وحيث اقترب المتجول شاريبوترا من المتجول موغلانا، ورأى موغلانا المتجول شاريبوترا يقترب من بعيد، تحدت قائلاً: "يا صديقي، ملكاتك نقية تمامًا، وبشرتك مشرقة جدًا وواضحة جدًا. هل يمكن أن تكون، أيها الصديق، قد أدركت الترفانا؟".

- "نعم، يا صديقي، لقد أدركت اللاموت".

- "ولكن، كيف نلت ذلك يا صديقي؟".

- "الآن، يا صديقي، رأيت أساجي المؤقر يمشي للحصول على طعام الصدقة في راجاها - كان يبعث على السرور سواء اقترب أم ابتعد... ثم، أيها الصديق، قال أساجي المؤقر هذا التعبير المحكم عن الدارما: (تلك الأشياء التي تنشأ عن سبب، قد أخبر من وجد الحقيقة عن سببها، وعمًا يُوقف نُشوءَها). فالناسك العظيم لديه مثل هذه التعاليم".

عندما سمع المتجول موغلانا هذا التعبير المحكم عن الدارما، نشأت فيه رؤية الدارما، بلا غبار ولا صدأ، وأن: **(كُلَّ مَا مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَنْشَأَ، مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَزُولَ).**

قال: "هذه هي بالفعل دارما. فقد توغلت إلى الطريق الذي لا أسي فيه، الطريق الذي لا يرى والذي أهمل دهورًا طويلة".

ثم قال موغلانا لشاريبوترا: "لنذهب، أيها الصديق، إلى المبارك، لأن هذا المبارك هو معلّمنا. يا صديقي، هؤلاء الميتان والخمسون متجولًا يقيمون هنا بسببنا، ويتطلعون إلينا. دعنا نشاورهم حتى يفعلوا ما يعتقدون أنه الصواب بالنسبة إليهم".

ثم اقترب شاربيوترا وموغالانا منهم، وقالوا لهم: "نحن ذاهبون، أيها الأصدقاء، إلى المبارك، لأنه هو معلمنا. نحن، أيها المؤقرون، نمكث هنا بسببكم، ونتطلع إليكم. إذا أردتم الدخول في حياة القداسة في ظل المعتزل العظيم، فسنقوم جميعاً بدخول حياة القداسة في ظل المعتزل العظيم".

ثم اقترب شاربيوترا وموغالانا من سنجايا، وقالوا له: "يا سيدي، نحن ذاهبان إلى المبارك، لأن هذا المبارك هو معلمنا".

- "لا، أيها الأصدقاء، لا تذهبوا، نحن الثلاثة سنهتم جميعاً بهذه المجموعة. ومرّة ثانية... ومرّة ثالثة... سنعتني بهذه المجموعة".

ثم اقترب شاربيوترا وموغالانا، مع المئتين والخمسين متجولاً، من بستان البامبو. ولكن، في تلك البقعة خرج الدم الساخن من فم سنجايا.

رأى المبارك شاربيوترا وموغالانا يقتربان من بعيد. ولما رآهما، خاطب الرهبان قائلاً: "أيها الرهبان، هذان الصديقان القادمان، سيكونان أبرر وأكبر تلاميذي".

حينما نالوا، وفي عمق المعرفة، حرية لا مثيل لها، ولا تعلق فيها، أخبر المعلم عنهم في بستان البامبو: "هذان الصديقان القادمان، سيكونان أبرر وأكبر تلاميذي".

ثم اقترب شاربيوتا وموغالانا من المبارك، وهما يحنيان رأسيهما إلى قدمي المبارك، وقالوا له: "أيها المبارك، نرجو أن ندخل المسار في حضرة المبارك. أيمكننا أن نتخذ عهد الرهبنة؟".

فأجاب المبارك: "تعالوا، أيها الرهبان، علمت الدارما خير تعليم، فادخلوا حياة القداسة لإنهاء المعاناة من جذورها".

كانت هذه طريقة اتخاذ هؤلاء المؤقرين عهد الرهبنة.

في ذلك الوقت دخل الشباب المتميزون جداً، والذين ينتمون إلى عائلات ماغادا المحترمة، في الحياة المقدسة في ظل المبارك. لكن الناس نظروا إلى هذا الأمر بازدراء وانتقاد، قائلين: "إن غوتاما المعتزل يتقدم بأن يجعلنا بلا أطفال، ويجعلنا أرامل، فينفقت عائلاتنا. لقد أذن لألف من النساك بالدخول في المسار، وكذلك أذن للمتجولين المئتين والخمسين الذين كانوا مع سنجايا. ودخل هؤلاء الشباب المتميزون جداً، الذين ينتمون إلى عائلات محترمة من ماغادا، في حياة القداسة معه".

لكن الناس إذ رأوا الرهبان، وبخوهم بهذه العبارات الشعرية:

لقد جاء النَّاسُكَ العَظِيم

إلى غَرِيبَا جَا لِأَهْل مَآغَا

يَقُودُ جَمِيعَ أَتْبَاعِ سَنجَايَا.

مَنْ سَيَتَّبِعُهُ الْآنَ؟".

سَمِعَ الرُّهْبَانُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ تِلْكَ الْأَقَاوِيلَ. ثُمَّ أَخْبَرَ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانُ الْمُبَارَكُ بِهَذَا الْأَمْرِ. فَقَالَ:
"أَيُّهَا الرُّهْبَانُ، هَذَا الصَّحِيحُ لَنْ يَطُولَ إِلَّا سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَبَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ سَوْفَ يَنْقَطِعُ. لِذَلِكَ، أَيُّهَا الرُّهْبَانُ،
إِذَا وَبَّخُوكُمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ:

لقد جاء النَّاسُكَ العَظِيمُ

إلى غَرِيبَا جَا لِأَهْل مَآغَا

يَقُودُ جَمِيعَ أَتْبَاعِ سَنجَايَا.

مَنْ سَيَتَّبِعُهُ الْآنَ؟

فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةَ:

حَقًّا أَبْطَالُ عُظْمَاءُ، نَحْنُ مَنْ وَجَدْنَا الْحَقِيقَةَ،

تَقُودُنَا الدَّارِمَا الْحَقِيقِيَّةُ.

مَنْ يَغَارُ مِنَ الْحُكْمَاءِ،

الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي نُورِ الدَّارِمَا؟".

حِينَهَا، وَبَعْدَ أَنْ رَأَى النَّاسُ الرُّهْبَانَ، وَبَعْدَ أَنْ وَبَّخُوهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ:

لقد جاء النَّاسُكَ العَظِيم

إلى غَرِيبَا جَا لِأَهْل مَآغَا

يَقُودُ جَمِيعَ أَتْبَاعِ سَنجَايَا.

مَن سَيَتَّبِعُهُ الْآنَ؟".

رَدَّ عَلَيْهِمُ الرَّهْبَانُ بِهَذِهِ الْعِبَارَاتِ:

حَقًّا، أَبْطَالَ عُظْمَاءُ، نَحْنُ مَن وَجَدْنَا الْحَقِيقَةَ،

تَقُودُهَا الدَّارِمَا الْحَقِيقِيَّةُ.

مَن يَغَارُ مِنَ الْحُكَمَاءِ،

الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي نُورِ الدَّارِمَا؟

وَمَعَ قَوْلِ النَّاسِ: يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَزِلِينَ، أَبْنَاءَ السَّكَايَا، تَقُودُهُمُ الدَّارِمَا الْحَقِيقِيَّةُ، اسْتَمَرَ ذَلِكَ الضَّجِيحُ

سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِالضَّبْطِ، وَبَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ انْقَطَعَ.

تَمَّ الْحَدِيثُ عَن دُخُولِ شَارِيبُوتْرَا وَمَوْعَلَانَا فِي الْمَسَارِ.